نزار يوسف

الأشخاص و التشخيص في القرآن الكريم

دراسة و بحث

نزار يوسف

الأشخاص والتشخيص

في القرآن الكريم

دراسة وبحث

جميع حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

المحتويات

برجاء الضغط على العنوان للانتقال إليه

مقدمة الأسس الأولى مرحلة العنصر الحيواني

مرحلة العنصر الحجري مرحلة العنصر البشري

الأشخاص و التشخيص عصمة الأشخاص

خوارق الأشخاص الفردية الشخصانية

عَود على ذي بدء نبذة عن المؤلِف

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم خالق الخلق مالك المُلك رب الخلائق أجمعين .. الحمد لله وحده لا لغيره فغيره لا حمد له من دونه ، و الشكر لله وحده لا لغيره فغيره لا شكر له من دونه ، و الرحمة من الله وحده لا من غيره فغيره لا رحمة منه من دونه .. و إن العزة لله جميعاً .. هو الرحمن ربي .. إياه وحده عبدت و إياه وحده أطعت و به وحده آمنت و له وحده أسلمت .. و إن خير الكلام ما قل و دل .. أما بعد ..

منذ فجر التاريخ و منذ ظهور الإنسان العاقل على وجه هذه الأرض ، بعد أن أنزل الله سبحانه و تعالى ، أبويه من الجنة ، عقاباً لهما على المعصية و الأكل من الشجرة المحرَّمة التي نهاهما الرحمن رب العالمين عنها .. فأغراهما الشيطان بها و جعلهما يأكلان منها .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة فكلا من حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (*) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما و قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (*) و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين (*) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت

لهما سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (*) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين (*) قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين (*) قال فيها تحيون و فيها تموتون و منها تخرجون } .

منذ فترة الهبوط تلك ، و الإنسان لا يزال في صراع مرير مع الشر و مع الكفر .. منذ تلك الفترة و الإنسان لا يزال في اختبارٍ قاسٍ مريرٍ ، يجابه فيه أعاصير الضلال و الشرك و الكفر بالرحمن رب العالمين .. كيف لا و الشيطان قد وعد أنه سيضل البشر أجمعين ، منذ وجودهم على وجه الأرض و إلى يوم البعث و الحساب ، إلا مَن رَحِم الله سبحانه و تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أنظرني إلى يوم يبعثون (*) قال إنك من المنظرين (*) قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (*) ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين } .
بسم الله الرحمن الرحيم { قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (*) قال فإنك من المنظرين (*) إلى يوم الوقت المعلوم (*) قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين (*) إلا عبادك منهم المخلصين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لَأحتنكن ذريته إلا قليلاً (*) قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً (*) و استفزز من استطعت منهم بصوتك و أجلب عليهم بخيلك و رجلك وشاركهم في الأموال و الأولاد و عِدهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً (*) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان و كفى بربك وكيلاً } .

يوضح سابق الآيات القرآنية ، حقيقة مخيفة مرعبة ، و هي أن الإنسان واقع تحت ضغط شديد كبير يكابد فيه العناء و المشقة كيلا يقع في مهاوي الكفر و الشرك و الضلال و العصيان .. ذلك إن كان مؤمناً حقاً بالرحمن رب العالمين ، فكيف من كان على غير هذه الملة من العبادة و الدين و الإيمان ؟؟!! .

إن حقيقة و نتائج مكابدة الإنسان عموماً .. كافراً كان أم مؤمناً .. و صراعه مع مفهوم الكفر أو الشرك بالرحمن رب العالمين ، تعود في أساسها إلى صراعين أساسين اثنين لا ثالث لهما ..

الأول هو صراع مادي إكراهي .. واضح المعالم و الأشكال و الصور ، و مبدأه القوة المادية القاهرة .

و الثاني هو صراع فكري لا إجباري .. لكنه خفي و غير واضح المعالم و الأشكال و الصور ، و مبدأه الخداع و التمويه و التضليل .

في هذا الكتاب سنوضح واحدة من أخطر عوامل و مسببات الشرك و الكفر عند الإنسان ، ألا و هي ظاهرة الشخصنة أو التشخيص و التي تعتمد في أسسها و مقدماتها على الأشخاص و نَسْبْ كل مظاهر الدين من أحداث و وقائع ، إليهم .. و تكون نتائجها الشرك الكامل بالرحمن رب العالمين أو الكفر المحض به .

إن خطورة ظاهرة الأشخاص و التشخيص في الدين ، تعتمد على مبدأ التورية و الإشكال و التضليل ، لِسَوق الإنسان نهاية المطاف إلى الشرك بالرحمن رب العالمين .. و في الغالب الأعم ، الكفر البواح الصريح ، به .. ذلك أن الدعوة الظاهرة المبينة ، للباطل و الكفر و الشرك بالله سبحانه و تعالى ، قد لا تلقى آذاناً صاغية لمن أعمَلَ عقله و فكره متدبراً في آيات الله سبحانه و تعالى في هذا الكون و مخلوقاته و موجوداته . و هو ما تناوله القرآن الكريم في بعض مواضعه ، من حيث جاء على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً (*) يهدي إلى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحداً (*) و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً و لا ولداً (*) و أنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدىً (*) و ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً (*) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهةً لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهةً إني أراك و قومك في ضلال مبين (*) و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين (*) فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (*) فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (*) فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفَلَت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (*) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين } .

يفيد سابق الآيات في تقديم صورة واضحة عن أن الإنسان ممكن له و بشيء من إعمال العقل و التفكير و التدبر ، حتى و من دون تأثير هداية من الغير ، أن يهتدي إلى وجود إله أحد أوحد واحد .. إله خالق لهذا الكون .. مدَبِّر له .. متصرف في أعماله لا شريك له في ذلك كله . و

تبعاً لذلك يمكنه أن يلاحظ و يكتشف أعمال الضلال و التضليل الظاهرة الواضحة المبينة ، حال تعرض لها من قِبَل الغير ، فيعرض عنها و يتجنبها .

لذلك و بناء عليه .. فإن الأساس في الضلال و التضليل المؤديان للشرك بالرحمن رب العالمين ، و الكفر به ، يقوم على التورية و الإشباه و الإشكال و استغلال مواطن ضعف النفس و العقل عند المتلقي .. و في أحدها ، مبدأ التشخيص و الشخصنة ، و هو ما سنتناوله في فصول هذا الكتاب و متنه .

و آخر دعوانا .. أن الحمد لله رب العالمين

نزار يوسف ..

٢٠٢٤/١/٦

الأسس الأولى

إن صور عناء و شقاء المؤمن بالرحمن رب العالمين ، في جهاده لعدم الكفر بالرحمن رب العالمين و عدم الشرك به أو عصيانه و الفسق عن أوامره ، تتجلى في عوامل و أسباب مادية عدة ، أهمها ضغط الظالم القوي المتجَبِّر عليه و إجباره و إكراهه على الكفر بالرحمن رب العالمين أو الشرك به و الفسق عن شرائعه جميعاً ، سواء أكانت أمراً أم نهياً ، و في ذلك يقول القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قُتل أصحاب الأخدود (*) النار ذات الوقود (*) إذ هم عليها قعود (*) و هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (*) و ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد } .

تخبر الآيات السابقة عن أشخاص مؤمنين بالله سبحانه و تعالى ، مخلصين له الدين .. كما تخبر عن أشخاص آخرين أكثر سطوة منهم و أكبر مقدرة و أشد تسلطاً ، اضطروا هؤلاء المؤمنين للكفر بالرحمن رب العالمين ، و لما لم يجدوا منهم استجابة و قبولاً ، قاموا بقتلهم حرقاً في النار ، نقمة منهم عليهم ، فقط بسبب إخلاصهم الدين و العبادة للرحمن رب العالمين .

كما يخبرنا القرآن الكريم عن إصرار و مجاهدة الكافر الظالم المجرم في حربه على المؤمن بالرحمن رب العالمين ، و إصراره على رده عن دينه الذي ارتضاه له الرحمن رب العالمين .. و هذا ما جاء في مواضع عدة من القرآن الكريم ، منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا و من يرتدد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } .

تخبر الآية القرآنية السابقة أن الكافر المجرم ، الفاسد المفسد ، هو في حالة إصرار و جهد و متابعة ، فقط لكي يمنع على المؤمن إيمانه بالرحمن رب العالمين ، و يعمل على إعادته إلى سابق سيرته و عهده من الشرك أو الكفر و الضلال .. و تحذر الآية السابقة هذا المؤمن بالرحمن رب العالمين ، من ارتداده عن دينه الذي جعله الرحمن له و ارتضاه ، و تتوعده الخسران المبين و نار جهنم ، مصيراً له و عاقبةً ، إن فعل ذلك .. و هذا ما يشرح قولنا عن أن المؤمن بالرحمن رب العالمين ، هو في حالة حرب و جهاد دائمين للثبات على دينه و عدم الارتداد عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم { كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب (*) ذلك بأن

الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و أن الله سميع عليم (*) كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم و أغرقنا آل فرعون و كل كانوا ظالمين } .

يوضح آنف الآيات استمرار و مثابرة و مواظبة الكافر في حربه على المؤمن لكي يعيده إلى حظيرة الشرك و الكفر و الضلال ، و ممارسة كافة الأساليب في ذلك .. كما توضح تلكم الآيات أن الإيمان بالرحمن رب العالمين ، هو نعمة من نِعَم الله سبحانه و تعالى ، على عباده المؤمنين و أن هذا الإيمان هو باب و سبيل لكل تلك النِعَم و الخيرات التي يَمُنّ الله سبحانه و تعالى ، بها عليهم .. و أنه تعالى لا يبدل تلك النِعَم و الخيرات إلا أن يبدل هؤلاء عبادتهم له ، من الإخلاص الحق له ، إلى الشرك أو الكفر به .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره و إذاً لاتخذوك خليلاً (*) و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً (*) إذاً لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً (*) و إن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها و إذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً (*) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنتنا تحويلاً } .

يخبر ما سبق من آيات أن إصرار و دأب الكافر بالرحمن رب العالمين ، لا يقتصر فقط على البشر العاديين ، في محاولة ردهم و صدهم عن دين

الرحمن الحق ، بل يتعداه حتى إلى الأنبياء و الرسل الذين هم على ثبات و صِدْقْ عبادة و عقيدة للرحمن رب العالمين .. فها هو القرآن الكريم يخبر الرسول الكريم محمد ، أن الكفار لن يتركوه و شأنه ، بل سيحاولون ثنيه عن دين الإسلام و التسليم للرحمن رب العالمين ، و عن ذكر الرحمن و شرع الرحمن رب العالمين ، القرآن الكريم ، و إيجاد شرع مُضَاهٍ له مخالف لتعاليمه مُتمَاشٍ مع أهوائهم .. لكن في الوقت نفسه فإن القرآن الكريم قد حذر الرسول محمد من مغبة الانسياق لهؤلاء الكفار و الخضوع لرغباتهم و طلباتهم المتواصلة المستمرة ، لأن عاقبة ذلك بالنسبة له سوف تكون وخيمة جداً .

على أنه بالنسبة للكافر المجرم ، فلا يُكتفى فقط بمحاولات الترغيب و الفتنة لرد المؤمن بالرحمن رب العالمين ، عن دينه .. بل هو يعتمد أيضاً أساليب التهديد بالأذى و الحرب ، ليس فقط على عموم المؤمنين بل حتى على الأنبياء و الرسل .. و قد ذكر القرآن الكريم ذلك الأمر في مواضع عدة منه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول و إنا لنراك فينا ضعيفاً و لولا رهطك لرجمناك و ما أنت علينا بعزيز } .

هو تهديد بالقتل للأنبياء و الرسل الذين هم رأس الدين و الدعوة للرحمن رب العالمين ، في حال لم يتراجعوا عن دعوة الناس لعبادة الرحمن رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم { فعقروا الناقة و عتوا عن أمر ربهم و قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين } .
بالرغم من إنزال الناقة كآية برهانية ربانية واضحة لثمود قوم صالح ، إلا أنهم قد قاموا بقتلها و تحدوا الله سبحانه و تعالى ، عن طريق صالح ، أن يوقع بهم العذاب .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال فرعون و ما رب العالمين (*) قال رب السماوات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين (*) قال لمن حوله ألا تستمعون (*) قال ربكم و رب آبائكم الأولين (*) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (*) قال رب المشرق والمغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون (*) قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين } .
لقد قام فرعون و بالرغم من الحوار و الجدال المنطقي الذي جادله به موسى ، قام بتهديد موسى بالسجن و منعه من إتمام دعوته للرحمن رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا موسى بآياتنا و سلطان مبين (*) إلى فرعون و هامان و قارون فقالوا ساحر كذاب (*) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه و استحيوا نساءهم و ما كيد الكافرين إلا في ضلال (*) و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد } .

هو تهديد أو بالأحرى ، أمر بالقتل من فرعون و أعوانه و ملائه ، للذين آمنوا بموسى و اتّبعوه ، كما هو طلب فرعون شخصياً من أعوانه و مستشاريه أن يفوضوا إليه أمر قتل موسى الرسول النبي و التخلص منه .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت قوم لوط المرسلين (*) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (*) إني لكم رسول أمين (*) فاتقوا الله و أطيعون (*) و ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (*) أتأتون الذكران من العالمين (*) و تذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (*) قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرَجين } .

قام قوم لوط بتهديده و أهله ، بالطرد من الديار و المكان ، فقط لمجرد أنه نهاهم عن ارتكاب الفواحش الخبيثة و لأنه لم ينته عن ذلك .

لكن ما هو مثير للانتباه و النظر ، هو إن أمر محاربة الكافر للمؤمن ، لم يقتصر فقط على العلاقة فيما بين الأباعد أو الغرباء ، بل امتد أيضاً إلى ما بين ذوي القربى ، و من الأصول قبل الفروع .. فها هو والد النبي إبراهيم

قد شن على ابنه النبي إبراهيم ، حرباً شعواءً مهدداً إياه بالطرد و القتل ، فقط لمجرد أن إبراهيم قد عبَدَ الرحمن رب العالمين من دون بقية الأصنام التي كانت يعبدها والد إبراهيم و قومه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك و اهجرني ملياً } .

إذن .. و مما سبق ، فإن حرب الكافر المجرم على المؤمن الموَحِّد ، لم تشتمل على عموم الناس و بُسَطَائهم ، بل حتى على أنبيائهم و رسلهم .. و ذلك كله قد ارتبط بالدأب و المواظبة من دون كلل أو ملل .

لكن إلامَ يقودنا آنف القول و الكلام هذا ؟؟!! إنه يقودنا إلى ما بان و ظهر من أساليب حرب الكافر بالرحمن ، على المؤمن بالرحمن ، الموَحِّد له ، و ما خفي منها أو أشكَلَ توريةً على من تعَرّض له و واجهه و قاده إلى الضلال من دون حتى أن يدرك أو يشعر بما وقع فيه من ضلال ساقه إلى الشرك بالرحمن رب العالمين أو الكفر به .. فمِمّا بان و ظهر من أساليب ، هو الصد و المنع سواء بإكراه أم من غير إكراه .. و في ذلك يقول القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً و هم بالآخرة كافرون } .

توضح الآية السابقة أن هؤلاء الكفار يمنعون الناس عن الصراط المستقيم صراط الرحمن رب العالمين ، و يريدون للناس أن تسلك سبل الضلال و الفساد و المعاصي و الفواحش ، لأن هؤلاء الكفار ، من الأساس لا يؤمنون بإعادة إحيائهم و بعثهم من جديد و من ثم حسابهم على ما عملوه و ما اقترفوه في حياتهم الدنيا العاجلة الفانية ، فكان دينهم و ديدنهم فيها ، منع الناس عن عبادة الرحمن رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (*) و لا تقعدوا بكل صراط توعدون و تصدون عن سبيل الله من آمن به و تبغونها عوجاً و اذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم و انظروا كيف كان عاقبة المفسدين } .

تخبر الآيات القرآنية السابقة أن النبي شعيباً قد أُرسِلَ من الله سبحانه و تعالى ، إلى قومه لكي يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه و تعالى و التقيد بشرائعه و أحكامه و الالتزام بها ، و لا يقوموا بتعطيل شرع الله سبحانه و تعالى و يمنعون الناس عن عبادته و اتّباع شرائعه و أحكامه .. و ذلك من

حيث أنهم كانوا يفعلون كل تلكم الموبقات و يقترفون كل تلكم المعاصي و المفاسد .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يغلبون و الذين كفروا إلى جهنم يُحشَرون } .

أيضاً تخبر الآية هنا أن الكفار يستخدمون طغيانهم ، في أموالهم التي ينفقونها لكي يمنعوا الناس عن عبادة الرحمن رب العالمين و يصرفونهم إلى عبادة الطاغوت .. أي أنهم يستعملون العامل المادي و يستغلون فقر الناس في ذلك ، و ربما هم من يكونون المساهمون و الماكرون و الكائدون لهم ليصلوا إلى حال الفقر و الحَوَج و من ثم يغرونهم بالمال لكي يبتعدوا عن دين الرحمن الحق .

أما ما خفي من أساليب الضلالة و التضليل فهو مما أورده القرآن الكريم في بعض من مواضعه و منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (*) و أن اعبدوني هذا صراط مستقيم (*) و لقد أضل منكم جِبِلّاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون (*) هذه جهنم التي كنتم توعدون (*) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون } .

الجِبلّ في الآيات السابقة ، هو التراكم و التكاثر جيلاً بعد جيل و أمماً بعد أمم .. و إذا أُضيف إليها عبارة التكثير فصارت (جِبلّاً كثيراً) فهذا يعني العدد الهائل من الشعوب و الأمم التي ضاعت و تاهت عن دين الرحمن الحق ، حتى لم يتبقَّ من المؤمنين إلا قليلاً قليلاً .. و هذا إشارة قوة و دلالة واضحة على اتباع أسلوب الخداع و التمويه و التورية في التضليل و الصد عن سبيل الله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من يعش عن ذكر الرحمن نُقَيّض له شيطاناً فهو له قرين (*) و إنهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون أنهم مهتدون } .
إن من أحد أقوى و أهم عوامل الضلال و التيه عن صراط الله سبحانه و تعالى ، الحق المبين ، هو الابتعاد عن ذكر الرحمن رب العالمين ، القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، فيصير المرء عرضة لشياطين الجن و الأنس و نهبة لهم فيقودونه إلى الضلال المبين و الكفر الكبير و ذلك من حيث يظن في نفسه أنه على الحق و الصواب .. و في ذلك تورية كبيرة جداً ، يتوه عنها الإنسان الضال و لا يراها أو يتبيّنها لأنه من الأساس قد فقد البوصلة التي تصله إلى الحق إلا و هي القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، فلا يستطيع المقارنة بين الضلال و الحق .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم

لكنا مؤمنين (*) قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين (*) و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله و نجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب } .

يخبر سابق الآيات القرآنية عن حدوث تخاصم و نزاع كلامي ، ربما حدث من قبل أو سيحدث مستقبلاً ، بين الداخلين إلى جهنم و الجحيم ، بعد أن وقفوا أمام الرحمن ربهم و عَلِموا حكمه فيهم .. و يتضح من خلال هذا الجدال أن أمراء الكفر و الضلال قد قاموا بخداع عوام الناس و من تبعهم من خدم و غلمان و نحوهم ، و ساقوهم في طريق الضلال و الكفر من حيث أن هؤلاء كان يمكن لهم أن يكونوا مؤمنين بالرحمن رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيلا (*) ربنا آتهم ضعفين من العذاب و العنهم لعناً كبيراً } .

أيضاً في الآية السابقة الذكر ، نجد أن عوام جمهور الكفار و دهماؤهم قد أقَرّوا أمام الرحمن رب العالمين أن أسيادهم من أئمة الكفر و الضلال قد ساقوهم إلى الكفر و الفسق من حيث أمروهم بذلك أو خدعوهم به ، و أنهم كانوا هم السبب في كفرهم كله .

إن الصورة المرئية من سياق الآيات الآنفة الذكر ، تتجلى في أساليب الخداع و التورية و التمويه و الضلال التي مارسها ما عُرِفَ بالملأ الأعلى

لدى الأمم و الأقوام الكافرة المشركة ، في صرف الناس عن العبادة الحق للرحمن رب العالمين .. و قد تدَرّجت هذه الأساليب في وجوه عدة كانت في معظمها ضمن دائرة الشرك و نطاقه ، ذلك أن الكفر بالله سبحانه و تعالى ، هو واضح بيّن لا يحتاج إلى إضلال و تورية و إغواء ، إذ أن الكفر كمفهوم ، يرتبط أساساً بالقناعة الذاتية لدى الشخص ، بوجود إله من عدم وجوده .. فكافر البتة ما هو بمحتاج إلى من يغويه أو يضله سبيل الحق ما دام هو من الأساس غير مقتنع بوجود الله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – بينما المشرك بالله سبحانه و تعالى ، هو في العرف القرآني شخص أدرك وجود الله سبحانه و تعالى ، لكنه أبى إلا أن يجعل له و معه شريكاً في أمر من الأمور التي اختص به الله سبحانه و تعالى ، نفسه كإله أحد أوحد واحد لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له أو معه ، في شيء أو من شيء .

و قضية الشرك هذه ، تحتمل في ذاتها كمفهوم و حيثيات ، تحتمل وجود إشكالية ما .. شبهة ما .. ضلال ما في أمر ما .. إنها تقتضي منطقياً وجود الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً .. و هي أيضاً في ذاتها تتطلب وجود العلم .. فالمشرك هو شخص يعلم لكنه مشتبه في علمه ، متّبِعٌ في الظنون .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون } .

إذن .. المشرك هو في وجه من وجوهه يؤمن بالله لكنه يشرك به إما من حيث الصفات أو المشيئة أو المقدرة .. ذلك على خلاف الكافر الذي هو جاهل في أساس معتقده بعدم وجود إله ، بالرغم من كل توافر المعطيات العقلية و المادية اليقينية التي تشير و تدل دلالة واضحة على وجود إله واحد خالق لهذا الكون و ما فيه و من فيه .

و يمكن القول أيضاً إن المشرك هو عالم و جاهل في الوقت نفسه .. عالم بوجود إله لكنه جاهل في اتّباعه الظن و الهوى في كيفية و ماهية هذا الإله و شكه في وحدانية هذا الإله أو عدم قبوله لها .. و هذا ما يقودنا إلى نتيجة هامة في هذا الشأن و هي .. إن الكافر هو جاهل من حيث لا يعلم بينما المشرك هو جاهل من حيث يعلم .

و قد تطرق القرآن الكريم لهذه القضية في مواضع عدة ، و أبانها في وجه من الوجوه ، و لو بشكل غير مباشر .. و من ذلك على سبيل المثال ، إحدى الوقائع التي جادل موسى فيها قومه من بني إسرائيل بعد عبورهم البحر من بعد هلاك جيش فرعون ، عندما طلبوا من موسى أن يصنع لهم إلهاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (*) إن هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون } .

إن بني إسرائيل و بحسب المنظور القرآني ، يعرفون الله سبحانه و تعالى ، لا بل و يعبدونه و لا ينكرون وجوده .. لكنهم و في مواضع عدة و وقائع من تاريخهم ، و منها هذه الواقعة المذكورة في الآية آنفة الذكر .. أشركوا بالله سبحانه و تعالى ، إشراكاً كبيراً قارب الكفر الصريح ، و هنا و مع ذلك ، لم يتهمم موسى بالكفر أو بالفسوق ، بل اتهمهم بالجهل أي جهل مفهوم وحدانية الله سبحانه و تعالى ، و عدم معرفته على الوجه الأمثل الصحيح له أي تماماً على الذي أحسن ، بالرغم من علمهم بوجوده بل و حتى عبادتهم له كإله واحد ، و هي قضية تشير إليها الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً و هدًى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها و تخفون كثيراً و عُلّمتم ما لم تعلموا أنتم و لا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون } .

هذا المقدمة تقودنا إلى نتيجة أخرى ثانية و هي .. جهل الكافر هو في الوجود ، و جهل المشرك هو في التوحيد .

تِبعاً لما سبق جميعاً ، فإن المفسد العليم سيتجه إلى مجال الشرك و دائرة الشرك و المشركين ، ليعيث فيها و فيهم ، فساداً و يضّلهم عن عبادة الرحمن رب العالمين ، و من ثم يقودهم إلى الكفر .. ذلك أن الشرك هو في وجه من وجوهه ، كفر صريح بواح .. جاء في بعض القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار } .
هنا ارتبط الكفر بالشرك ، أي أن الكافر هنا ، هو كافر لأنه قد أشرك بالله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه و استغفروه و ويل للمشركين (*) الذين لا يؤتون الزكاة و هم بالآخرة هم كافرون } .
تم اعتبار المشركين في الآيتين السابقتين ، كفاراً لأنهم لا يؤمنون بيوم البعث و الحساب و بالتالي فهم لا يؤمنون بوجود إله يعاقب و يثيب ، و ربما في أحسن الأحوال ، إله ترك الناس على هواهم و ترك حبلهم على غاربهم .

بسم الله الرحمن الرحيم { سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً و مأواهم النار و بئس مثوى الظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذريةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون } .
ارتبط فعل الإهلاك من الله سبحانه و تعالى ، بفعل الشرك .. و الإهلاك في القرآن الكريم ، يقع عادة على القوم الكافرين .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأواه النار و ما للظالمين من أنصار (*) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و ما من إله إلا إله واحد و إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم } .
في الآيتان السابقتان ، عَظُمَت حرمة الشرك عند الله سبحانه و تعالى ، إلى درجة أنه سبحانه و تعالى قد حرم الجنة على المشركين .. كما تم اعتبار من يقول بالتثليث الذي هو شرك محض ، اعتباره كافر و سوف يناله عذاب شديد إن لم ينته عن عقيدته تلك .

و قد بلغ من الشرك بالرحمن رب العالمين ، حرمة عظيمة ، أن قال الله سبحانه و تعالى إنه ممكن أن يغفر أي شيء إلا الشرك به ، و لم يقل الكفر .. و في ذلك ما فيه من كِبَر جريمة الشرك و طغيانها على جريمة الكفر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً } .

لكن ما المقصود بدائرة الشرك و المشركين ؟؟!! إنها دائرة و مجال الأشخاص الذين يعرفون الله سبحانه و تعالى كإله ، و يعرفون أن لهذا الكون إلهاً خالقاً لكنهم في دواخل نفوسهم ، إما أنهم مهيأون للاعتقاد بوجود إله آخر أو وجود أكثر من إله .. و إما أنهم من الأساس لا يقبلون بفكرة الإله الواحد إلا بوجود آلهة أخرى معه – و العياذ بالله – و قد تطرق القرآن الكريم لهذه النقطة بالذات و تناولها في بعض من مواضعه محذراً منها و كاشفاً جوانبها و حرمتها ، من حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ص و القرآن ذي الذكر (*) بل الذين كفروا في عزة و شقاق (*) كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا و لات حين مناص (*) و عجبوا أن جاءهم منذر منهم و قال الكافرون هذا ساحر كذاب (*) أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب (*) و انطلق الملأ منهم أن امشوا و اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (*) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق } .

توضح الآيات السابقة أن المشرك هو شخص كافر ، و تبين أن هؤلاء القوم قد تم اعتبارهم كفاراً ، فقط لأنهم رفضوا مجرد فكرة الإله الواحد .. كما توضح هذه الآيات أن هؤلاء المشركين لم يتقبّلوا فكرة الإله الواحد و أنهم استغربوها تماماً .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده و نذرُ ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (*) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما نَزّل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين } .

تخبر الآيتان السابقتان عن أن قوم هود قد استنكروا دعوة الرسول هود لهم لعبادة الله الأحد الواحد و قد استندوا في ذلك على أن أسلافهم من علية القوم كانوا يعبدون تلكم المعبودات مع الله سبحانه و تعالى .. ليس ذلك فقط ، بل أنهم قد تحدوا هوداً أن يأتيهم بعقاب الله الواحد ، إن كان فعلاً صادقاً في دعواه .. فأجابهم هود إن إشراكهم بالله سبحانه و تعالى ، ليس له أي دليل و ما هو إلا مجرد استناد إلى كلام و فعل من سبقهم بذلك ، و إنه سيأتيهم عذاب من الله الواحد الذي لا إله إلا هو لا شريك له ، لأنهم قد أشركوا به .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (*) قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل (*) ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم و إن يُشرَك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير } .

لقد حددت الآيتان السابقتان أن الذين كفروا بالرحمن رب العالمين ، قد وقع عليهم الكفر ، و حكمه نار جهنم لأنه رفضوا أن يؤمنوا بالله الواحد

الأحد و أصروا أن يكون معه شركاء من دونه – و العياذ بالله – و أن اعترافهم بذنبهم الفظيع هذا ، و طلبهم الرحمة و الغفران ، لم يكونا لينفعاهم شيئاً .

إذن .. و مما سبق .. فقد كانت بداية الضلال و التضليل للإنسان و جَعْله يبتعد عن الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، هو أن يشرك به أحد أو شيء .. ذلك على المضَلِّل سواء .. المهم أن يشرك هذا الإنسان المؤمن بالرحمن رب العالمين أو الراغب في الأيمان به ، أن يشرك به .. أحد ما أو شيء ما .. و بمجرد أن يشرك هذا الإنسان بالرحمن رب العالمين ، فقد دخل مباشرة في ربقة الكفر بالله سبحانه و تعالى ، و لم يعد ينفعه شيء في ذلك و لا يشفع له شيء فيما وقع فيه من هلاك محتم لا نجاة منه .. كما قال القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً } .

لكن كيف كان الشرك بالرحمن رب العالمين ؟؟!! هل كان على سوية واحدة من الاجتهاد فيه و التضليل و التورية ؟؟!! أم كان على سويات مختلفة و مراتب تفاضلية تراتبية في الاجتهاد فيه و التضليل و التورية ؟؟!! .

في الواقع لقد كانت عمليات الضلال و التضليل عبر تاريخ البشرية ، على مستويات مختلفة كانت جميعها في تباينها مرتبطة بالوعي الإنساني و الظروف المحيطة به ، و مرتبطة بالتطور العقلي البشري و التراكم المعرفي الحضاري و العلمي .. فحيثما كان البشر في ظروف بدائية متخلفة من الناحية الثقافية و المعرفية و حال من الجهل و القسوة و الظلم ، كانت عملية التضليل سهلة بسيطة و لا تحتاج إلى مستوى عالٍ من جهد و تعقيد .. لكن كلما ازداد الوعي العقلي و العلمي المعرفي أو حتى الوعي الحضاري ، ازداد مستوى أسلوب التضليل و سوية الجهد المبذول فيه .. و إننا إذا عدنا إلى استقراء التاريخ البشري من القدم و إلى الآن ، و عدنا إلى استقراء الحضارات البشرية منذ بداية نشوئها و إلى مراحلها الحالية الآن ، نجد أن مراحل الإضلال و التضليل البشري و التي كانت عماد الإشراك بالرحمن رب العالمين ، قد اعتمدت على العنصر الحي بشكل أساس تلاه عنصر الجماد و الذي كان عماده الحجر .. و كانت مراحل ثلاثة و هي على الترتيب ، من الأقدم إلى الأحدث .. مرحلة العنصر الحيواني .. مرحلة العنصر الحجري .. مرحلة العنصر البشري و هو العنصر التشخيصي أو الشخصاني ، مادة هذا الكتاب .. و هذه المراحل تناسبت جميعها كما ذكرنا ، مع حالة تطور الوعي المعرفي الإنساني .. و سوف نناقش كل حالة أو مرحلة من تلكم المراحل على حِدى لتبيان حقيقة العنصر البشري ذا المرحلة الأخيرة .

مرحلة العنصر الحيواني

لقد بدأ عهد الإنسان قديماً منذ نزوله إلى الأرض من بعد عقاب أبويه و إخراجهما من الجنة ، بدأ بالتعامل مع الحيوان بالاستفادة منه بل و حتى التعلم منه .. و قد ذكر القرآن الكريم هذه العلاقة البدائية الأولى و عَرَضَ لها بالتنويه و الإيضاح ، إذ جاء فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تُصْرَفون } .

توضح الآية السابقة أن هنالك حيوانات و هي الماشية قد خلقها الله سبحانه و تعالى و أنزلها خصيصاً للإنسان .

بسم الله الرحمن الرحيم { خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (*) و الأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون (*) و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون (*) و تحمل أثقالكم إلى بلد لم

تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم (*) و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينةً و يخلق ما لا تعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من الأنعام حمولةً و فرشاً كلوا مما رزقكم الله و لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين } .

يوضح آنف الآيات أن الحيوانات التي هي الماشية العاشبة ، قد خلقها الله سبحانه و تعالى بالتزامن مع خلق الإنسان ، و هي مصممة خصيصاً له لينتفع منها في مجالات عدة .. منها المِطعَم و منها المَلبَس و منها المَركَب و غير ذلك مما يحتاجه الإنسان و يتخذه نفعاً له .. و يبدو من خلال ما يحتاجه الإنسان منها ، فإنها مصَمَّمة للتعايش معه في مكان واحد .

بسم الله الرحمن الرحيم { فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (*) فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين } .

تبين الآيتان السابقتان صورة عن تعليم الحيوان للإنسان في بداية وجوده على الأرض ، كيفية دفن الموتى .. و تُظهِران اعتراف الإنسان بعجزه أمام الحيوانات و بعض من إمكانياتها ، و إقراره لها بذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { و تَفَقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (*) لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين (*) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبإ بنبإ يقين (*) إني وجدت امرأةً تملكهم و أوتيَت من كل شيء و لها عرش عظيم (*) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (*) ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات و الأرض و يعلم ما تخفون و ما تعلنون (*) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (*) قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (*) اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون } .

الصورة التي تظهرها الآيات آنفة الذكر ، هي صورة هامة جداً و تعكس قضية جدلية خطيرة ، إلا و هي تفاهم الإنسان مع الحيوان و اعتماده عليه في أمور إما هو جاهلها أو هو عاجز عن القيام بها ، حتى في إحدى مراحل تقدمه في مضمار الحضارة و العلم ، من حيث أن فترة النبي سليمان كانت فترة متقدمة حضارياً عن الفترة التي عاشها ابني آدم حين قَتَل أحدهما الآخر .

إن ما سبق ذكره من قول ، ربما يوضح لنا شيء من كيفية عبادة الإنسان للحيوانات في الحضارات القديمة ، و هي الألية الأولى في الضلال و التضليل لبني البشر ، من خلال الاعتماد على ضعف سَوِيّاتهم العقلية و الذهنية و أيضاً النفسية .. و هو أمر يُلاحَظ بشدة في فترة الحضارات القديمة ، و ذلك بالرغم من كونها حضارات متقدمة لجهة العلم و الفكر و الثقافة لكنها كانت متأخرة متخلفة لجهة عقيدة التوحيد الدينية ، بالرغم من توافر كل المقومات العقلية و الدلائل و البراهين العلمية المادية و المنطقية الاعتبارية الاستنتاجية لوجود الإله الأحد الواحد ، و هو أمر يثير الكثير الكثير من الاستغراب و التعجب ؟؟؟!!! .

لكن من خلال المقارنة بين الظروف التاريخية لنشأة كل من الحيوان و الإنسان ، يمكن لنا استخلاص بعض المبررات ليس للإنسان كي يعبد الحيوان ، إنما لتفسير آلية الضلال و التضليل التي خضع لها هذا الإنسان من حيث مراتب سَوّياته الذهنية و العقلية و العلمية .. ذلك أنه بنظرنا ، لا يمكن للإنسان بمستويات تفكيره و عقله المتقدمَين عن الحيوان بأشواط كبيرة جداً ، أن يعبد الحيوان من تلقاء ذاته . بل لا بد له من طرف ثالث يؤثر فيه و يضله بطريقة من الطرق .. إما خداعاً أو تورية أو عياناً ، لاتخاذ الحيوان كمعبود له .

فقد كان الحيوان موجوداً قبل الإنسان ، و كان مسيطراً سيطرة شبه كاملة ربما ، على مقدرات الأرض و جغرافيتها .. و لعل انقراض بعض الحيوانات السابقة لظهور الإنسان ، كالديناصورات و ما شابهها في الحجم و القوة ، و الذي لا تفسير علمي له سوى أنه أمر إلهي رباني بزوال هذه الكائنات دفعة واحدة تمهيداً لظهور الإنسان الذي كان من المحال استمرار بقاءه و وجوده على الأرض ، مع بقاء و وجود تلك الحيوانات الضخمة الشرسة الفتّاكة .. و لعل ذلك كان دليلاً علمياً قوياً على أن الإنسان في بداية وجوده ، لم تكن له تلك السيطرة الكاملة على الحيوان بشكل عام ، أو التعاطي معه .

فلزاماً على ما سبق ، تبرز فكرة إدخال تقديس تلك الحيوانات و احترامها و إجلالها و تقديم شيء من فروض الطاعة لها .. و ذلك لا يتأتّى لنا إدراكه إلا إذا علمنا أن الإنسان في بداية فترة وجوده الأرضي ، كان محاطاً بالحيوان من كل حدب و صوب و كان على علاقة ارتباط قوية جداً بها ، سواء أكانت علاقة تَجَنّب المفترسة منها كالوحوش الكاسرة ، من أسود و تمور و تماسيح و غيرها .. أم علاقة اتقاء شر السامة منها كالأفاعي .. أم علاقة حاجة منفعة ماسّة منها من طعام و شراب و نقل و حراثة و حراسة و ما إلى ذلك كالأبقار و الماعز و الحمير و البغال و الخيل و غيرها .. أم علاقة رهبة و إعجاب و هيبة كالنسور و الصقور و نحوها .. ذلك كله قد اندرج ضمن نطاق إدراك الإنسان أن هذه الحيوانات جميعها ، لها قدرات

مادية جسدية تَفُوق تلك التي لديه في الجسد و الحركة و المناورة ، فضلاً عن إدراكه أن تلك الحيوانات ليست محتاجة إليه في أي شكل من الأشكال بل هو المحتاج إليها بل لعل إدراكه في فترة من الفترات أن استمرارية وجوده و بقاءه على الأرض ، مرهون باعتماده على الحيوان أو البعض منه .

إن النظر بعين التدقيق و التمحيص الشديدين للحضارات البشرية الأولى التي تمثَلت في كل من حضارة بلاد الرافدين و حضارة مصر القديمة ، يجعلنا نرى فيهما أن الرموز الحيوانية كانت حاضرة بشدة و كثرة ، في كل من الأمر و الأثر الدينيين .. ففي حضارة بلاد ما بين النهرين أو الرافدين ، كان الثور المجنح ، على سبيل المثال ، هو الرمز الديني الطاغي في معظم الأدبيات الدينية المندرجة في نطاق الفترة الزمنية لتلك الحضارة .

كذلك الأمر في الحضارة المصرية القديمة التي ربما تكون قد شهدت أكبر عدد ممكن من الحيوانات المختلفة التي شكلت أساس و عماد الأمر الديني الممتد عبر مراحل تلك الحضارة .. فكانت الأفعى و كان الصقر و كان الكلب و كان الثور و غيرهم الكثير من الحيوانات .. لا بل كانت الحشرات أيضاً ، فكانت الخنفساء و كان الجُعُل و غيرهما .

و قد أقر القرآن الكريم بهذه القضية و ألمَحَ إلى وجودها في الحضارات و الأمم القديمة و إلى أنها كانت ذات أثر فاعل في عقائد القوم و مِلَلِهم و نحَلِهم ، و إلى أنهم لم يكونوا يجدون فيها بأساً أو ضيراً .. و من ذلك قصة العجل الذي عبده قوم موسى حين غيابه عنهم لأجل لقاء الله سبحانه و تعالى .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم و لا يهديهم سبيلاً اتخذوه و كانوا ظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال فإنا قد فَتَنّا قومك من بعدك و أضلهم السامري (*) فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي (*) قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا و لكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري (*) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى فنسي (*) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً و لا يملك لهم ضراً و لا نفعاً (*) و لقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به و إن ربكم الرحمن فاتبعوني و أطيعوا أمري (*) قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى } .

الصورة الجلية الواضحة التي تبينها الآيات السابقة هي أن القوم الذين عبدوا العجل كانوا يعرفون الرحمن رب العالمين و يعبدونه .. و أن عملية اتخاذ العجل كانت بناء على عملية تضليل لم تكن لِتحتاج إلى ذلك التعقيد و الجهد الكبير و وأن الذي أضلهم ، قد أضلهم على علم ، و هو ما يشير إلى استعداد الإنسان ذلك الوقت لتقبل الحيوانات كمعبودات له .. ذلك أنهم كانوا في مصر القديمة متأثرين بعقائد أهلها حيث استفحلت الرموز الحيوانية و انتشرت و تكاثرت كمعبودات دينية .. و تشير الآيات السابقة إلى أن هنالك من حذر هؤلاء القوم من مغبة عبادتهم للعجل و أشار لهم أن الرحمن رب العالمين هو إلههم و ربهم الذي لا إله إلا هو ، لكنهم أبوا ذلك و أصروا على الانقلاب إلى عبادة العجل التي يبدو أنهم كانوا يمارسونها في مصر القديمة أو أنها كانت مفروضة عليهم فرضاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم (*) و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون (*) و إذ واعدنا موسى أربعين ليلةً ثم اتخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون } .

يتضح من الآيات السابقة أن قوم موسى كانوا يتعرضون لأبشع أنواع الظلم و القهر من قِبَل فرعون و آله و قومه ، فأنجاهم الله سبحانه و تعالى من

ذلك كله و أغرق آل فرعون في البحر ، أمام أعينهم و معرفتهم أن الله سبحانه و تعالى هو الذي أنجاهم من فرعون و آله و هو الذي أغرق فرعون و آله ، ثم بعد ذلك كله و لمجرد أن غاب موسى عنهم لميقات ربه ، قاموا بعبادة العجل و ترك عبادة الرحمن الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له في شيء .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون (*) و إذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة و اسمعوا قالوا سمعنا و عصينا و أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم } .

تخبر الآيتان السابقتان أنه و من بعد أن قدّم موسى لقومه كل الدلائل و البراهين العقلية و المادية على وجود الرحمن رب العالمين لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له .. استنكفوا عن عبادة الرحمن رب العالمين و انصرفوا لعبادة العجل و ترك عبادة الرحمن رب العالمين ، بعد أن أخذ الرحمن رب العالمين عليهم العهد و الميثاق بعبادته و اتّباع شرائعه .. لكنهم ارتدّوا و عصوا و كفروا بعد صارت عبادة العجل تجري في عروقهم مجرى الدم .. و هذا دليل قوي على تأثير الرموز الحيوانية في إنسان تلك الفترات القديمة .

بسم الله الرحمن الرحيم { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم

الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك و آتينا موسى سلطاناً مبيناً } .

تخبر الآية السابقة أن قوم موسى قد طلبوا منه رؤية الله سبحانه و تعالى بالعين المجردة – و العياذ بالله – فعاقبهم الله سبحانه و تعالى فوراً ، ثم أحياهم بعد ذلك و عفا عنهم ، لكنهم بدلاً من ذلك انصرفوا إلى عبادة العجل .

إن ما يؤيد قضية أن قوم موسى كانوا يعبدون العجل من قبل موسى ، فلم يجدون غرابة في ذلك ، هو الآيات القرآنية التي تناولت قصة النبي يوسف مع الفَتَيان اللذَين دخلا معه السجن ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون (*) و اتبعت ملة آبائي إبراهيم و إسحاق و يعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا و على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون } .

تشير الآيتان السابقتان إلى أن النبي يوسف كان مكرهاً على اتّباع طقوس عبادات المصريين من حيث أنه كان عبداً يخدم عند ساداتهم .. و ربما كانت عبادة العجل من إحدى هذه العبادات – و الله العليم – و ما أن سنحت له الفرصة في السجن ، حتى عاد إلى عبادة ملة آبائه .

إن أُسّ و جوهر العقيدة الدينية التي تشير إلى الحيوان كمعبود – و العياذ بالله – يتعلق أساساً بالشرك مع الله سبحانه و تعالى ، و ليس الكفر به البتة .. فكافر البتة كما ذكرنا لا يعبد شيء ، أيّاً كان هذا الشيء .. بينما المشرك بالله سبحانه و تعالى ، يريد أن يكون معه و له شريك بصري مرئي مادي عياني ملموس اليد ، يكون بالنسبة له و في أحسن الأحوال ، عبارة عن وسيط فيما بينه و بين الله سبحانه و تعالى .

في هذه الحالة و مما سبق ، يوجد أصناف ثلاثة من العَبَدَة ، و هم ..

- صَنْفٌ عبَدَ الرحمن رب العالمين ، إخلاصاً في الدينا و توحيداً .
- صنف عبد الحيوان إشراكاً بالله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – كمثال قوم موسى .
- صنف عبد الحيوان إشارة و توحيداً له ، بمعزل عن الله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – أي أنه من الأساس قد اتخذ هذا الحيوان رباً له – و العياذ بالله – كبقية الشعوب و المجتمعات الوثنية التي عبدت الحيوانات .

فإذا استثنينا كل من الصنفين أو الفئتين .. الأولى التي هي فئةٌ مؤمنةٌ حقٌ بالرحمن رب العالمين ، آمنت به و عبدته بإخلاص .. و الثالثة التي هي فئة كافرة البتة بالرحمن رب العالمين ، لا يتبقى لنا سوى الصنف أو الفئة التي

عبدت الحيوان ، إشراكاً بالله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – و هذه الفئة هي التي كانت البداية و الأساس لمراحل الإشراك الخفي بالله سبحانه و تعالى ، و مهدت لما عُرِفَ فيما بعد ، بالتشخيص في الدين أي إدراج رموز بشرية مع أسماء و ذات و صفات الله سبحانه و تعالى ، شركاً به .. و العياذ بالله .

لقد كانت الرموز الحيوانية في الفترات الأولى من التاريخ البشري على الأرض ، كافية تماماً للإيفاء بحالة الكفر التام الكبير و الشنيع بالرحمن رب العالمين ، عن طريق الشرك الحيواني به – و العياذ بالله – و بموجب هذه الحالة من الشرك بالرحمن رب العالمين ، لم يعد هنالك من حاجة أو داعٍ لأية حالة من حالات الضلال و التضليل أو أي أسلوب من أساليبه .. ذلك بأن أي أسلوب أو نوع آخر من أساليب و أنواع الضلال و التضليل و من ثم الكفر بالرحمن رب العالمين ، سيكون أخف شدة و وطأة من الشرك الحيواني .. و لا أدل على ذلك من الآية القرآنية التي تناولت قضية اتخاذ العجل و ذكرت العقاب المناسب له ، من حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم } .

تتحدث الآية السابقة عن فظاعة ما فعله قوم موسى من اتخاذهم العجل إلهاً لهم .. و يلاحَظ ذلك من خلال العبارات و المفردات الواردة في هذه الآية ، من مثال (ظلمتم أنفسكم .. بارئكم) من حيث أن موسى قال لهم إنهم قد ظلموا أنفسهم حصراً ، بارتكابهم لهذه الجريمة الفظيعة و أن الطريقة الوحيدة المثلى للتوبة إلى الرحمن الذي خلقهم من التراب ، هي أن يقتلوا أنفسهم فهذا أفضل حل لهم و هو خير لهم عند الرحمن الذي خلقهم من الطين .. و يتضح مقدار جسامة الذنب الكبير في عبادة الحيوان بدل الله سبحانه و تعالى ، في أن النبي موسى قد تحدّث لقومه الذين عبدو العجل ، عن بارئهم و لم يقل الله سبحانه و تعالى أو الرحمن رب العالمين .. و البارئ هو خالق الشيء من الشيء و مستخلِصَه منه تماماً .. فالآية القرآنية الكريمة ، هنا ، تريد أن تبدي لنا صورة بلاغية بيانية معينة توضح لنا مدى فظاعة الجرم ، من خلال المقارنة بين نقيضين متباعدين كل البعد ، سواء في القدر و الرفعة أو المقام و المنزلة .. أي أنك قد تركت عبادة مَن خلقك و صنعك و سوّاك و كرّمك ، كما قالت الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (*) الذي خلقك فسَوّاك فعدلك (*) في أي صورة ما شاء ركبك } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً } .

تركتَ الرحمن رب العالمين و أنعُم الرحمن رب العالمين عليك و اتجهتَ إلى عبادة من هو مخلوق مثلك بل و أدنى منزلة منك في الخلق .. بهيمة عجماء لا تعقل و لا تملك من أمرها و لأمرها شيئاً لا بل هي مسخَّرة لك و لخدمتك ؟؟؟!!! ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و البُدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخّرناها لكم لعلكم تشكرون (*) لن ينال الله لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم كذلك سخّرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم و بشر المحسنين } .

فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .. لقد اتضحت الصورة في فظاعة تلك الجريمة الكبيرة و جسامة إثمها عند الله سبحانه و تعالى .

و صراحة الأمر ، أننا لا نستطيع جزماً ، ربط عبادة الحيوان قديماً ، ببداية وجود الإنسان على الأرض و ارتباط ذلك ببدائية تفكيره .. ذلك أن الهداية كانت كذلك الأمر ، موجودة منذ بداية وجود الإنسان على ظهر الأرض .. و قد ذكر القرآن الكريم هذه النقطة و تحدّث عنها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و عصى آدم ربه فغوى (*) ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى (*) قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدًى فمن اتبع هداي فلا يضل و لا يشقى (*) و من أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً و نحشره يوم القيامة أعمى (*) قال رب لِم حشرتني أعمى و قد كنت بصيراً (*) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تُنسى } .

يُظهِر ما سبق من آيات ، أن الهداية من الرحمن رب العالمين قد ترافقت و تزامنت مع نزول آدم و زوجه من الجنة ، عقاباً لهما على عصيانها الله سبحانه و تعالى ، حين أكلا من الشجرة المحرمة عليهما .. و بالتالي ، فإن الغموض يلف صراحةً ، قضية عبادة الإنسان للحيوان منذ القِدم ، كونها أولى العبادات الضالة المضلِلة .. لكن و مع ذلك فإن ما ذكرناه بداية الأمر من ارتباط ذلك بتعامل الإنسان ، أول عهده في الأرض ، مع الحيوان و تعلّمه منه أمور معينة ، و عجزه أمامه في أمور أخرى ، و احتياجه له في أمور تالية .. ربما يكون سبباً قوياً في سهولة إغراء و إغواء الإنسان بتلك العبادة .

لكن ما يمكن قوله تفسيراً ، و إيراده كتعليل منطقي .. هو أن أساليب و أشكال الضلال و التضليل ، قد ارتبطت حتماً بالسويات العقلية و الذهنية البشرية .. و ارتبطت بحال الوعي المجتمعي العام و بحال الظروف

الاجتماعية المحيطة بالإنسان ، من ظلم و قهر و عبادة و استعباد ، مما قد جعل الإنسان يركن إلى الحيوان ، نافراً من البشر أبناء جلدته ، و نابذاً إياهم .. و لو كان ذلك بشكل خفي ضمني غير مباشر .

لكن أيضاً ما يمكن قوله تفسيراً .. هو أن قضية العبادات الشركية الضالة المضللة ، قد ارتبطت أيضاً بشكل قوي و عكسي مع مقدرة الإنسان على التعامل مع تلك الطبيعة المحيطة به ، بكافة تضاريسها الجغرافية و عواملها الجوية .. فحينما وجد الإنسان نفسه عاجزاً نسبياً في التعاطي مع الطبيعة و مظاهرها ، وجد نفسه مضطراً للتعامل مع الحيوان و محتاجاً له و مُعَرِّضاً نفسه للدخول في دائرة تقديس هذا الحيوان و التعاطي معه بشكل أو بآخر من خلال ذلك .. و كلما وجد نفسه قادراً نسبياً على التعاطي مع الطبيعة و مظاهرها ، وجد نفسه مستغنياً بالنسبة ذاتها ، عن هذا الحيوان و منصرفاً إلى شيء آخر غيره لتقديسه أو التعاطي معه بمبدأ القدسية .

و ربما يكون تعاطي الإنسان مع تقديس الحيوان ، قد ارتبط أيضاً .. لكن بشكل طردي .. من خلال قدراته على استغلال متاع الطبيعة و مواردها و القدرة على تطويعها لصالح العنصر البشري مما سهّل له الابتعاد عن الحيوان و الاستغناء عنه في أمور كثيرة .

لكن ذلك كله و في محصلته النهائية ، كان مرتبطاً بشكل أساس ، بالقدرات الذهنية و العقلية و الفكرية لهذا الإنسان ، و سَويات التمييز و الوعي لديه .. تلك القدرات و السويات التي قادته نهاية الأمر إلى الابتعاد عن الحيوان كمادة و آلة للتقديس . و اتجاهه إلى عناصر أخرى تتناسب مع وعيه و تطور مخزونه الفكري و تراكمه زمنياً .

لكن و في واقع الأمر فإن هذا الكلام آنف الذكر ما هو إلا صورة إشكالية ملتبسة لتقديس الإنسان للحيوان و غيره من عناصر الطبيعة ، و ذلك إن تم إغفال عامل الضلال و التضليل في القضية برمتها .. أما إن تم أخذ عامل الضلال و التضليل بعين الاعتبار ، فإن الحقيقة تكمن في أن الإنسان ليس هو من أدرك ، نتيجة تطور مقدراته العقلية أنه لا حاجة له لتقديس الحيوان و الانصراف لغيره من عناصر الطبيعة ، بل هنالك من رأى أن هذا الإنسان وصل إلى مرحلة من النضوج العقلي و الفكري لم يعد بالإمكان فيها إقناعه و تضليله بفكرة عبادة الحيوان . و لا بد و الحالة هذه من اختلاق عنصر إضلالي شركي جديد ، له و يكون متناسباً مع تطور مَلَكاته العقلية و الفكرية .. ذلك أن الحيوان لم يعد يستحوذ على تلك القيمة الرمزية المادية القدسية و الغيبية التي كان يظنها الإنسان موجودة فيه .. فكان أن تم التحول إلى عنصر الجماد أو بالأحرى ، الحجر .. و هو ما سوف نتناوله في المبحث التالي .

مرحلة العنصر الحجري

قلنا إنه مع تطور العقل البشري خلال فترة ظهور الإنسان و وجوده على الأرض ، ثم الاستغناء عن فكرة عبادة الحيوان و إضلال الإنسان بها ، كونها لم تعد تستحوذ على قناعاته الكافية بذلك ، و كون الإنسان مع مرور الوقت و تراكم الخبرات و المعارف و المدرَكات ، العلمية و الاجتماعية و الزراعية و الصناعية ، و تبلور مفهوم الجماعة لديه الذي تزامن مع تشكيل نظام الجماعة الأولى البسيطة ، كالأسرة و ما شابهها ، ثم انتقاله إلى نظام القبيلة و من ثم نظام المجتمع الذي تأسس عليه ، نظام الدول و الممالك بل و حتى الإمبراطوريات .. ذلك كله قد أدى به إلى إدراك أن هذا الحيوان الذي اتخذه فيما قبل ، معبوداً له .. لم يعد يلبي له طموحه الغيبي القدسي و أنه كائن أدنى منه مرتبة في العقل و التفكير و الشكل و القوام .. و لعل العامل الأهم في ذلك ، كان الرمزية الغيبية المادية .. فالإنسان كان دائماً يسعى إلى إيجاد رمزية قدسية غيبية لكن مادية ، أي يُشتَرَط فيها الظهور و الوجود العياني ، تدله على الإله و تكون في الوقت نفسه موجودة في عنصر من عناصر الطبيعة المحيطة به ، مِن جمادات أو كائنات حية ، لكي تكون الأداة أو الوسيط فيما بينه و

بين الإله .. و ذلك في أحسن الأحوال ، أما في أسوأها فكان يعتبر أو يجعل هذه الأداة أو هذا الوسيط ، هو الإله نفسه . فكان أن جعل هذه الرمزية القدسية المادية كما قلنا ، في الحيوان .

و لكن بما أن الحيوان قد بدأ مع مرور الزمن يستنفذ رصيده من هذه الرمزية القدسية المادية .. كان لا بد و الحال هذه ، من إيجاد البديل الأمثل لمتابعة عملية الإضلال و التضليل .. البديل الذي يكون مقبولاً و متماشياً مع سوية التطور الحضاري و العقلي للإنسان .. فكان أن ظهرت عبادة الجماد و الحجارة و بعض الكائنات الحية غير العاقلة عياناً .. ذلك كله تمثل في الأصنام و الأوثان و الكواكب و بعض المظاهر الطوطمية كبعض النباتات و الكائنات الخرافية كالتنين و الغول و غيرها .

هنا .. و الحال هذه ، لا بُد لنا من أن ننوه إلى قضية غاية في الخطورة ألا و هي أن انتفاء و انتهاء عملية عبادة عنصر من عناصر الكائنات المخلوقة في هذا الكون ، لا يعني انتفاءها و انتهاءها تماماً أو استئصال شأفتها نهائياً من حيث لم يعد لها وجود ، بل يعني حلول عبادة شركية ضلالية مكانها تكون هي المهيمنة على العبادات السابقة لها ، و تكون هي السائدة انتشاراً و حلولاً مكانها ، مع بقاء العبادة السابقة كشذرات و شرذمات هنا و هناك .. ذلك لأن العقائد مهما كانت ، لا يمكن لها أن تندثر من العقول تماماً ، بخاصة إن كان لها من يغذيها و يحرص على وجودها و

استمراريتها .. و لا أدَلّ على ذلك ، من استمرار عبادة الحيوان حتى الآن و حتى هذه اللحظة من القرن الواحد و العشرين ، في بعض البقاع و الأماكن .

كما يهمنا أن نلفت النظر أيضاً إلى قضية أخرى لا تقل أهمية عن الأولى ألا و هي أنه ليس بالضرورة أن تكون العبادة الشركية الثانية أو الثالثة و ما بعدهما أو التالية للعبادات الشركية التي قبلها ، غير موجودة حين وجود العبادة الأولى أو تلك التي قبلها .. فكل العبادات الشركية الضلالية اتضح أنها كانت موجودة بعضها مع بعض في كل الفترات و المراحل التاريخية للوجود البشري على الأرض لكن كان أحدهما يطغى على الآخر من حيث تكون له الأولوية في الشهرة و الوجود ثم يأتي الآخر بعد فترة ليحل محله في الشهرة و الطغيان ، مُزيحاً إياه عن تَصَدّر المشهد .. ليس ذلك فحسب بل كانت هذه العبادات تتماهى بعضها مع بعض ، و لا أدَلّ على ذلك من التماهي فيما بين عبادة الحيوان و عبادة الحجر ، من حيث أن الحيوان المعبود ، غالباً ما كان يُعَبَّر عن قدسيته و رمزيته عن طريق منحوت حجري أو معدني ، له ، و من ذلك كمثال ، تماثيل و منقوشات الثور و الحصان المجنحين في عبادات بلاد ما بين النهرين .. أو تماثيل و منحوتات الحيوانات و الطيور في عبادات مصر القديمة .

و قد ألمَحَ القرآن الكريم إلى قضية وجود تلك العبادات الشركية بعضها مع بعض من خلال حديثه عن بني إسرائيل حينما طلبوا من موسى بداية الأمر أن يجعل لهم أصنام إلهة ثم بعد ذلك اتخذوا العجل معبوداً لهم و جعلوه تمثالاً منحوتاً .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم و لا يهديهم سبيلاً اتخذوه و كانوا ظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي (*) قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا و لكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري (*) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى فنسي (*) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً و لا يملك لهم ضراً و لا نفعاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال فما خطبك يا سامري (*) قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول فنبذتها و كذلك سولت لي نفسي (*) قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس و إن لك موعداً لن تخلفه و انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً } .

بالعودة إلى مبحث عبادة الحجارة ، فقد اتضح تاريخياً ، أن الرموز الطوطمية الجامدة ، كالأصنام و بعض الحجارة أو الكواكب ، هي ذات مقدرة عالية على التماشي و التماهي مع المستوى العقلي البشري لجهة التقديس الرمزي الغيبي و أنها ذات مقدرة عالية أيضاً على إعطاء و تقديم الرمزية القدسية المادية المطلوبة المنسجمة مع كافة الرموز الطوطمية و في المراحل التاريخية كافة .

لقد برزت الأصنام كأكبر عامل و عنصر رمزي في عبادة الحجارة أو الجوامد المجرَّدة ، و كانت ذات أثر كبير و مساعد في تشكيل تلك الرمزية القدسية الشركية بالله سبحانه و تعالى .. و لا أدَلّ على ذلك من أنها و كما ذكرنا ، دخلت في كافة العبادات الشركية ، سواء تلك التي سبقت عبادة الحجارة أم تلك التي تلتها .. و قد كانت التماثيل و المنحوتات المجسَمة هي الأكثر توافراً و حضوراً في عبادة الحجارة و لها حصة الأسد في

الظهور و الاستخدام .. و عندما نقول .. أصنام .. فهذا يعني تلك التماثيل المجسمة المصوِّرة لمدركات عقلية رمزية بشرية .

بالنظر إلى تاريخ الوقائع و الأحداث البشرية الدينية و حتى الفكرية ، نرى أن الأصنام قد استُخدِمت في كافة مجالات الحياة البشرية ، الدينية منها و حتى غير الدينية .. فقد استُخدِمَت في مجال الأمر السياسي أيضاً و في المجال العسكري و الحربي ، منذ بداية الظهور البشرية تقريباً و لا يزال أثرها ممتداً إلى الآن إذ دخلت في الأمر الاجتماعي و الفني و مجالات أخرى مختلفة ، إلى جانب الأمر الديني و السياسي .

و بالعودة إلى القرآن الكريم ، نجد أن الأصنام أو الأوثان ، كان لها حضور كبير طاغٍ ، من حيث الإشارة إلى العبادات الشركية و الكفرية و كانت تمثل الدلالة الأولى و الكبرى لهذه العبادات ، و قد أورد القرآن الكريم في كل آية من آياته ، دلائل عدة على قوة تأثير و عمل هذه الأصنام ، و من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (*) إن هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون (*) قال أغير الله أبغيكم إلهاً و هو فضلكم على العالمين (*) و إذ

أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم و يستحيون نساءكم و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم } .

توضح الآيات السابقة قوة و تأثير الأصنام على بني البشر ، و ذلك من حيث أنه ما أن خرج بنو إسرائيل من البحر الذي شقّه الله سبحانه و تعالى لهم و أنجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسيمونهم سوء العذاب ، و أغرق آل فرعون أمام ناظريهم .. و كانوا قبل ذلك قد رأوا الآيات الربانية القاهرة في تعذيب آل فرعون و البطش و التنكيل بهم .. بعد ذلك كله ما أن صادفوا أول قوم يعبدون أصناماً ، حتى نسوا كل ما رأوه من آيات و دلائل ربانية و بادروا من فورهم بالطلب من موسى بأن يجعل لهم أصناماً للعبادة كما لهؤلاء القوم .. فأجابهم موسى أن طلبهم للأصنام هو دليل على جهلهم بالإله الواحد الأحد الرحمن رب العالمين ، بعد كل ما آتاهم من آيات قاهرة و دلائل بيّنات على وجوده و على دوره الكبير في إنقاذهم من فرعون و قومه و ما كانوا يفعلونه بهم .

إن العبارة التي قالها بنو إسرائيل لموسى عن الأصنام (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) بدلاً من أن يقولوا له اجعل لنا أصناماً كما لهم أصنام .. هي دلالة كبيرة واضحة على مدى قوة الأصنام و تأثيرها الرمزي القدسي لدى الإنسان الجاهل ، فهي بالنسبة إليه رمز للإله – و العياذ بالله – و هذا

دليل قوي على مدى تغلغل فكرة الأصنام عند الناس و أنه من الصعوبة بمكان انتزاعها من عقولهم .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اتل عليهم نبأ إبراهيم (*) إذ قال لأبيه و قومه ما تعبدون (*) قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين (*) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (*) أو ينفعونكم أو يضرون (*) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا إبراهيم رشده من قبل و كنا به عالمين (*) إذ قال لأبيه و قومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون (*) قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين (*) قال لقد كنتم أنتم و آباؤكم في ضلال مبين } .

يوضح آنف الآيات أن النبي إبراهيم قد سأل قومه مستغرِباً و مستنكِراً عن الأصنام التي يعبدونها و التي لا يزالون عليها في العبادة و الرجوع ، و عن مدى فائدتها لهم أو ضررها إذ هي لا تقدم لهم شيء من ذلك ، و أنهم بعبادتهم لها ، هم في خطأ و ضلال كبيرين ؟؟؟!!! فأجابوه أنهم وجدوا أسلافهم على هذا النمط و هم لا و لن يبرحوا عنه .. و هذا دليل واضح على مدى تأثر الإنسان بالأصنام و قبوله بها و انسجام تفكيره و عقله لها بالكلّية ، و ذلك بالرغم من كل الدلائل العلمية و المنطقية التي تفيد بأنه لا تأثير مادي لها على الإنسان إطلاقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله و اتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (*) إنما تعبدون من دون الله أوثاناً و تخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه و اشكروا له إليه تُرجَعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهةً إني أراك و قومك في ضلال مبين } .

نفس الصورة السابقة التي أظهرها ما سبق من آيات القرآنية ، و يُزاد عليها أن الإنسان الضال المضلَّل ، لن يأنس أو يقتنع بالمنطق العقلي العلمي ، حول عدم الجدوى من الأصنام التي هي إشراك بالله سبحانه و تعالى ، وأن الله سبحانه و تعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء و إليه الرجوع من خَلقِه و عباده جميعاً ليوم الحساب .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً و اجنبني وبني أن نعبد الأصنام (*) رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني و من عصاني فإنك غفور رحيم } .

هما آيتان على درجة كبيرة من الأهمية لإيضاحهما خطورة الأصنام المجسَمة على العقل البشري و تأثيرهما القوي في إضلال الإنسان و إبعاده عن

الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .

على أنه و بالرغم من خطورة الأصنام المجسّمة و تأثيرها على العقل البشري فإن عبادة الحجارة أو الجماد ، لم تقتصر فقط على عبادة الأصنام بل تعدتها إلى عبادة الكواكب و الأجرام السماوية التي امتلكت بدورها تأثير إضلالي كبير و قوي على العقل البشري ، و ذلك من خلال استحواذها هي الأخرى بدورها على تلك الرمزية القدسية الدينية ، و ذلك من خلال وجودها بعيداً في السماء و ثباتها في الحركة الدائبة و تأثيرها الواضح الكبير القوي على الأرض و البشر و الحياة فيها ، يضاف إلى ذلك عدم إمكانية التأثير عليها من قِبَل البشر ، ما يعطيها شيء من عزة و قوة .

و قد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في مواضع منه ، منبهاً إليها و محذِّراً منها في الوقت نفسه ، معطياً الدلائل الواضحة المباشرة و غير المباشرة على ذلك ، و مما جاء فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبإ بنبإ يقين (*) إني وجدت امرأةً تملكهم و أوتيت من كل شيء و لها عرش عظيم (*) وجدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (*)

ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض و يعلم ما تخفون و ما تعلنون (*) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم } .

تتحدث الآيات السابقة عن إخبار الهدهد للنبي المِلك سليمان ، عن مملكة تحكمها امرأة بشكل كامل و قوي و هذه المملكة قوية جداً و فيها من كل الأسباب المعيشية و الحضارية و حتى العلمية (قياساً إلى ذلك الوقت) لكنهم و مع كل ذلك يعبدون الشمس جميعهم ، عبادة كاملة مطلقة .

هنا تبرز نقطة خطيرة و هامة جداً ألا و هي إدراك الحيوان الذي هو طائر الهدهد ، لوجود الله سبحانه و تعالى كإله واحد لا شريك له أو معه في شيء ، و استغرابه من عبادة البشر للشمس أو الأجرام و الكواكب من دون الله سبحانه و تعالى ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (*) فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (*) فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (*) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين } .

تتمحور القضية هنا أيضاً حول النبي إبراهيم نفسه ، الذي وصل إلى مرحلة بدأ يعتقد فيها أن الكواكب هي آلهة أو تمثل رموز للآلهة .. فكان كلما رأى كوكباً أو جرماً سماوياً ، اعتقد فيه الألوهية و الربوبية ، نظراً إلى شدة و قوة حضور الكواكب و الأجرام السماوية في العقل البشري و تأثيرها على عقول الناس و انشار عبادتها فيما بينهم .. و لولا رحمة الرحمن رب العالمين به و إرشاده إلى طريق الحق بالعقل السليم و المنطق الحجة ، لكان قد هوى إلى مهاوي الشرك و الضلال التي هوى إليها قومه من قبل .

لكن و في الوقت نفسه فإن القرآن الكريم قد حذر من تأثير الكواكب و الأجرام السماوية على عقول الناس و حذر من عبادتهم لها و أوضح و أبان طريق الحق ، بعبادة الرحمن رب العالمين وحده لا شريك في شيء أو من شيء ، و ذلك في مواضع عدة فيه ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر لا تسجدوا للشمس و لا للقمر و اسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (*) فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون } .

توضح الآيتان آنِفتا الذكر ، قضية هامة جداً و هي أن الكواكب و الأجرام السماوية ، و منها الشمس و القمر ، هي ليس آلهة معبودة بل هي أجرام

مخلوقة و هي من دلائل وجود الرحمن رب العالمين لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، الذي خلقها و أوجدها .. و يشير القرآن الكريم للمشركين الضالين في عبادة هذه الأجرام السماوية ، إلى الرحمن رب العالمين الذي هو إلههم و ربهم الذي خلقهم و خلق تلك الأجرام السماوية التي يعبدونها ، و أن عليهم أن يعبدوه بالكلية و التمام و لا يعبدوا أحداً أو شيئاً آخر غيره .. و يشير القرآن الكريم إلى قضية أخرى و هي أن الذين يصرّون على عبادة الكواكب من دون الله سبحانه و تعالى ، إنما يفعلون ذلك غروراً منهم و تكبراً إذ أن الذين يعرفون الله الحق الذي لا إله إلا هو ، يعبدونه حق عبادته بالتمام و الكلّية و يدينون له بالدين الخاص و لا يستكبرون على ذلك ، جهلاً و غروراً و كفراً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و سخَّرَ لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار } .

يشير القرآن الكريم إلى أن الشمس و القمر ، ما هما بآلهة أو معبودات بل هما مخلوقان من خلق الله سبحانه و تعالى ، ليس ذلك فقط بل هما مسخرّان لخدمة الإنسان في وجوده على هذه الأرض ، فكيف للإنسان أن

يعبد من جعله الله سبحانه و تعالى ، مسخراً لخدمته ، إلهاً و معبوداً ؟؟!!

.

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي خلق الليل و النهار و الشمس و القمر كل في فلك يسبحون } .

إشارة إلى أن الشمس و القمر هما مجرد مخلوقات من خلق الله سبحانه و تعالى ، لا أكثر و لا أقل ، و لهما مسار و عمل محدد لا يحيدان عنهما ، فكيف يُعبدان ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض و سخَّر الشمس و القمر ليقولن الله فأنى يؤفكون } .

تشير الآية إلى أن الناس يعرفون أن الله سبحانه و تعالى ، هو الذي خلق الكون كله و موجوداته بما فيها السماوات و الأرض و بما فيها الشمس و القمر ، فلا تُجاز عبادتهما ، فأين يذهب هؤلاء المشركون الكفرة بكذبهم و ضلالهم عن الرحمن رب العالمين ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات و من في الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب و من يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء } .

تشير الآية السابقة إلى قضية عقلية فكرية أكثر منها قضية تَعَبّدية دينية ، و هي أن الإنسان إن أعمَلَ عقله و تفكيره ، لوجد أن الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، يخضع له كل ما في هذا الكون من مخلوقات ، بالتمام و الكلية و لا يمكن لأي منهم الخروج عن حكم و سيطرة الرحمن رب العالمين ، و أن العذاب الواقع على بعض الناس من الله سبحانه و تعالى ، هو بسبب عدم إدراكهم لهذه القضية لأنهم قد أصمّوا آذانهم و أغلقوا عقولهم عنها ، فاستحقوا الإهانة و العذاب من الله سبحانه و تعالى .

لقد بلغَ تأثير الأصنام و الحجارة و الأجرام ، في العقل البشري ، مَبلغاً كبيراً جداً من حيث أنها أودت بمن يعبدونها و يتخذونها معبودات لهم ، أن يرفضوا أي نقاش حولها و يقاتلوا لأجلها باستماتة غريبة ، و ذلك رغم البراهين و الدلائل العقلية و العلمية و المنطقية التي تقول بعدم صحة عبادتها و عدم أي تأثير لها في حياة الإنسان ، لا من حيث الضرر و لا من حيث النفع .. لا بل أن يستنكروا كل هذه البراهين و الدلائل و يعدّونها مادة للسخرية و الهزل .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً (*) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً (*) أرأيت من اتخذ إلهه هواه

أفأنت تكون عليه وكيلاً (*) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً } .

تبين الآيات السابقة ، صورة جلّية واضحة عن مدى قوة و تأثير الأصنام و الحجارة في سلبها لعقول الناس و استحواذها عليها من حيث لا يمكن معهم و لا ينفع أي نقاش أو جدال و من حيث مدى اعتبارهم لها كمعبودات حقيقية ذات براهين و دلائل منطقية ، تستحق القتال من أجلها و تحمّل المشاق في سبيلها .. و يبين القرآن الكريم أن هذا التصرف و هذه العقلية و التفكير ، لا يندرجون إلا ضمن نطاق الأمراض النفسية ، و لهمُ أسوأ من مرتبة الحيوان و البهائم العجماء .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا هود ما جئتنا ببينة و ما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك و ما نحن لك بمؤمنين } .

تبرز الآية السابقة صورة واضحة عن غباء و جهل عبدة الأصنام و مدى ابتعادهم عن العقل و المنطق السليم السَويّ ، لدرجة أنهم رفضوا كل الحجج و البراهين و الدلائل التي جاءهم بها رسولهم هود حول وجود الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، و تمسكوا بأصنامهم و حجارتهم الجامدة التي لا تأثير لها في شيء و لا دلائل علمية عقلية لها ، في شيء أو من شيء .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (*) و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (*) بل جاء بالحق و صدّق المرسلين } .

يخبر القرآن الكريم أن الكفرة المشركين بالرحمن رب العالمين ، أصناماً .. كانوا يستنكرون فكرة الله سبحانه و تعالى ، الواحد الأحد الذي لا شريك لها و يعتبرون أن هذا ضرب من الجنون ، بالرغم من كل الآيات و الدلائل العقلية و المادية و المنطقية التي آتاهم إياها الرسول الذي أرسله الله سبحانه و تعالى ، إليهم .. و يخبر القرآن الكريم أن هذه الدلائل هي الحق و هي الحجج العقلية و العلمية الصحيحة و التي لا مجال لدحضها .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف و قد خلت النذر من بين يديه و من خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (*) قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين } .

يأتي الناس رسول من الرحمن رب العالمين ، بالأدلة القطعية و البراهين العقلية و العلمية ، على وجود الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. و يقوم هذا الرسول بإنذار الناس و إبلاغهم بأن لا يعبدوا سوى الرحمن رب العالمين ، و يتوعّدهم و يتهددهم و يخوفوهم بالعذاب الأليم و العقاب الشديد من الرحمن رب العالمين ، إن هم أشركوا به أو معه من شيء .. لكنهم ينكرون

كلامه هذا مع براهينه و دلائله كافة ، و يعدّونه حيلة منه ليبعدهم عن أصنامهم التي لا تنطق و لا تعقل و لا تتحرك و لا تفعل أي شيء .. لا بل و يتحدونه أن يأتيهم بالعذاب الذي يزعمه (على حد قولهم) ؟؟؟!!! و ذلك فيه من السفه و السخافة و سوء العقل ، ما فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا لا تذَرَنّ آلهتكم و لا تذرن وداً و لا سواعاً و لا يغوث و يعوق و نسراً (*) و قد أضلوا كثيراً و لا تزد الظالمين إلا ضلالاً } .

توضح الآيتان آنفتا الذكر ، مدى إصرار المشركين عبدة الأصنام على التمسك بها و عدم التخلي عنها ، و ذلك بالرغم من كل الدلائل العقلية و الحجج المنطقية القاطعة على بطلان عبادتها و على إثبات أنها ضلال بضلال و لا تودي بأصحابها و العاكفين عليها إلا إلى جهنم و بئس المصير .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم و هم بذكر الرحمن هم كافرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً و لا يضركم (*) أف لكم و لما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (*) قالوا حرقوه و انصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين } .

يستطيع القارئ الفَطِن النبيه أن يلاحظ في الآيات السابقة ، غرابة تصرف عبدة الأصنام التي لا تضر و لا تنفع ، و تفضيلها على عبادة الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، الذي خلق السماوات و الأرض و سخّر لهم من كل شيء و هم رغم ذلك كله منكرون له غير معترفون ؟؟؟!!! .. كما يستطيع القارئ نفسه أن يلاحظ تضَجّر النبي إبراهيم و انزعاجه و غيظه الكبيرين من ذلك التصرف الغريب المستهجَن و الذي لا يقبله عقله و لا يقرّه منطق ، فتم التعبير عن ذلك كله بالتأفّف و قول إبراهيم لقومه .. أفلا تعقلون ؟؟!! فكان جواب القوم هو حرق إبراهيم و الانتصار للأصنام .. و في ذلك صورة بليغة لكنها قبيحة ، على سوء الفهم و العقل و المنطق ، و في الوقت نفسه على مقدار تأثير الأصنام على من كل يتخذها معبودات له .

على أن هنالك صورة أخرى للمنطق الخاطئ في تصوّر قدسية الأصنام أو بالأحرى التبرير الأعوج الملتوي الذي يقدمه أتباعها و العاكفون عليها ألا و هي أن أسلافهم لم يكونوا يعبدون الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، و أنهم كانوا يعبدون هذه الأصنام .. و في ذلك من الإفلاس الفكري و العجز المنطقي ، ما فيه .. و قد أورد القرآن الكريم هذه القضية و أبانها في مواضع عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و انطلق الملأ منهم أن امشوا و اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (*) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق } .

تتحدث الآيتان السابقتان عن السعي الحثيث الدؤوب لعبدة الأصنام ، في الدفاع عنها ، ليس فقط عن طريق التموضع و الصد ، بل عن طريق الانتشار و المبادرة .. ذلك كله خوفاً من عبادة الرحمن رب العالمين و صداً لها .. و ما كان تبريرهم المفلِس إلا أن ادّعوا أنهم لم يسمعوا بعبادة الرحمن في أديان و عقائد من سبقوهم .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترًى و ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (*) و قال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده و من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون } .

جاء الرسول النبي موسى ، آل فرعون و قومه ، بالبراهين و الدلائل العلمية المنطقية و بالمعجزات المادية الظاهرة التي تثبت وجود الرحمن رب العالمين إلهاً أحداً واحداً لا شريك له أو معه في شيء .. لكنهم و نتيجة استكبارهم و عجزهم عن تقديم أية براهين و حجج معاكسة ، ادّعوا أن كل ما جاء به موسى هو سحر و تلفيق ، و قدّموا حجتهم الوحيدة الباطلة إلا و هي أنهم لم يسمعوا بعبادة الرحمن من قِبَل أسلافهم القدماء .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (*) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم و لو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (*) إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين } .

هؤلاء قوم نوح الذي عندما دعاهم لعبادة الله سبحانه و تعالى ، الواحد الأحد الذي لا إله غيره .. رد عليه كبار الكفرة من قومه إنه كاذب و إنه بشر مثلهم و أن به لوثة عقلية و أنه لو كان يوجد إله واحد غير مرئي ، لكان قد أرسل ملاكاً ليدعو الناس إليه .. فاستندوا بذلك على حجة و مبرر باطلين ، ذلك أن منطقية وجود الله رب العالمين الواحد الأحد بدلائلها كافة ، هي ثابتة واضحة لا تحتاج إلى ملاك للدعوة إليها .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً و لا يهتدون (*) و مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً و نداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً و لا

يهتدون (*) يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون } .

إن ما سبق من آيات ، يخبر عن أن الإنسان المشرك الكافر العابد للأصنام العاكف عليها ، هو متمسك بالحجة الباطلة الواهية و هي أن أسلافه لم يكونوا يعبدون الرحمن رب العالمين الأحد الواحد الذي لا إله إلا هو لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، بل كانوا يعبدون الأصنام و الحجارة الجامدة البكماء التي لا تضر و لا تنفع ، حتى و لو كان أسلافه ، هؤلاء على باطل مبين و خطأ واضح و كانت كل تصرفاتهم تلك ، تصرفات غير عقلانية و لا تمتّ إلى الصواب و المنطق السليم ، بِصِلة .. و تطلب الآيات من الإنسان المؤمن أن يعتمد على العقل و التفكير السليم و اتّباع الكتب السماوية المنزلة إليه من الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، في عبادته الخالصة و تقواه له .

بسم الله الرحمن الرحيم { ثم بعثنا من بعدهم موسى و هارون إلى فرعون و ملئه بآياتنا فاستكبروا و كانوا قوماً مجرمين (*) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين (*) قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا و لا يفلح الساحرون (*) قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا و تكون لكما الكبرياء في الأرض و ما نحن لكما بمؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمة و إنّا على آثارهم مهتدون (*) و كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمة و إنّا على آثارهم مقتدون (*) قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده و نَذَرُ ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (*) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات و الأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين } .

تكشف الآيات السابقة عن صورة تمَسّك أقوام الشرك و الكفر بالرحمن رب العالمين ، بأصنامهم و معبوداتهم الحجرية المجسَّمة ، بالرغم من كل

الآيات و البراهين و الدلائل و المعجزات و كل حق و منطق .. و رفضهم بشكل تامّ فكرة عبادة الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، بالرغم من كل البطلان العقلي و العلمي و المنطقي ، لعبادة الأصنام التي يمارسونها ؟؟؟!!! .

كما إن القرآن الكريم يوضح نقطة هامة جداً في هذا المضمار ، و هي أن هؤلاء الكفرة الفسقة المشركون بالرحمن رب العالمين ، لم يكونوا ليؤمنوا به وحده ، حتى و لو جاءهم أشخاصاً منهم و من نفس مكانتهم و سوياتهم الاجتماعية و النخبوية ، لا بل ربما من نخب مللهم الدينية و العقائدية الشركية نفسها ، لكنهم تابوا و أنابوا إلى عبادة الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. و هنا ربما تبرز صورة تمَسّك المشركين بأصنامهم ، بأوضح شكل و مظهر ، و هو ما أبانه و أظهره القرآن الكريم في مواضع عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا و إننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب (*) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و آتاني منه رحمةً فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد (*) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و رزقني منه رزقاً حسناً و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب } .

كما أورد القرآن الكريم صورة أخرى للعلاقة الوطيدة بين المرسَلين و أقوامهم الكفرة المشركين ، و هي علاقة الأخوة التي تعني الصلة القوية و القرابة الوثيقة و المرتبة الاجتماعية و الوظيفية المتماثلة ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت قوم نوح المرسلين (*) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (*) إني لكم رسول أمين (*) فاتقوا الله و أطيعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت عاد المرسلين (*) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (*) إني لكم رسول أمين (*) فاتقوا الله و أطيعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت ثمود المرسلين (*) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (*) إني لكم رسول أمين (*) فاتقوا الله و أطيعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله و ارجوا اليوم الآخر و لا تعثوا في الأرض مفسدين (*) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت قوم لوط المرسلين (*) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (*) إني لكم رسول أمين (*) فاتقوا الله و أطيعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً و حزناً إن فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين (*) و قالت امرأة فرعون قرة عين لي و لك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً و هم لا يشعرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال ألم نربك فينا وليداً و لبثت فينا من عمرك سنين } .

إن ما يمكن استخلاصه و تبيانه من الآيات السابقة الذكر ، هو أن الله سبحانه و تعالى ، لم يدَع أسلوباً و لا كيفيةً لمخاطبة البشر ، لكي يهديهم إلى سبيل الحق و طريق الهداية و يمنعهم عن سبيل الضلال و طريق الكفر و المهالك ، إلا و قام به .. و لعلنا نلاحظ كيف أن الأنبياء و الرسل الذي أُرسِلوا إلى أقوامهم و أقوام غيرهم ، قد توافرت فيهم كل عوامل و مقومات الدعوة إلى عبادة الرحمن رب العالمين الواحد الأحد لا إله إلا هو لا شريك له ، و كل عوامل و مقومات الإقناع و القبول لدى الناس لكي يتجهوا نحوا هذه العبادة و ينيبوا إلى الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، و يتركوا عبادة الأصنام الباطلة التي ليس لها أساس شرعي و أو عقلاني منطقي .. فنرى أن الأنبياء و الرسل كانوا من ذوي السمعة الحسنة و الطيبة و ذوي الأمانة و الأخلاق الرفيعة العالية و ذوي المعرفة و الفكر .. يضاف إلى ذلك أنهم كانوا من نفس جنس قومهم و نفس مللهم و نفس مراتبهم الاجتماعية ، و منهم من تربى في بلاط ملوكهم .. و كانوا أيضاً يتكلمون بلغة أقوامهم التي يفهمونها و ليس بلغة أعجمية عنهم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و يهدي من يشاء و هو العزيز الحكيم } .

فلم يكونوا غرباء عنهم لكي يثيروا مجالاً للريبة و الشك أو يتركوا من حجة و معاذير لقومهم كيلا يؤمنوا بما جاؤوهم به .. لكن و مع ذلك كله ، نرى أن أقوامهم و بالأخص النخب منهم و الملأ قد رفضوهم و امتنعوا عن الانصياع لهم و لعبادة الرحمن رب العالمين ، و قاموا بتقديم حجج و مبررات باطلة هزيلة واهية لا أساس لها ، فما الذي يعني ذلك ؟؟؟!!! و إلى أين يقود ؟؟ .

إن ما يُستفاد منه من نتائج و تحصيل لما سبق ، هو أن وجود منهج و عقائد ضالة عن منهج و شريعة الرحمن الحق رب العالمين ، و هي الشريعة ذات البراهين الحق و الدلائل الحق و الآيات المادية المبصرة .. و هذه العقائد الضالة المنحرفة ، لا براهين لها و لا حجج سوى الهراء و التكبر و الاستعلاء بغير الحق ، لا بد و أنها مرتبطة بطرف ثالث مضلِّل ذي تأثير على عقول البشر .. أي لا بد من وسيط يقنع و يضل و يغري و يزيّن للبشر ضلالاتهم و عَماهم عن الحق المبين و عن الآيات و الدلائل الواضحة .. ذلك كله عبر تاريخهم ، منذ وجودهم على الأرض و حتى لحظاتهم الآنيّة الحالية .. ذلك كله بحسب مراحل تطور ملكاتهم العقلية و تطور سويّاتهم الفكرية و مستوى الوعي و التمييز لديهم .

و من ذلك أيضاً ، نقول .. إن ما يتضح الوصول إليه مما سبق ، هو نتيجة أو قاعدة منطقية تقول .. **إن كل ثبات على ضلال لا حجة له ، هو**

عقيدة .. هذا قول واحد لا انفصام له .. و هذه القاعدة المنطقية ، يبدو أنها لا تنطبق أو ترتبط إلا بالدين أو ما يسمى بالغيبيات ، ذلك من حيث أنه لا وجود له في مضمار العلم التجريدي التطبيقي أو في مجال المنطق الجدلي المادي البحت أو في المجال القانوني و الاجتماعي و الاقتصادي و بقية العلوم و المعارف الإنسانية .

و مما سبق آنفاً نقول أيضاً .. إن العقائد الضالة المضلِّلة لا تقوم على ما هي عليه و لا تدوم بما هي عليه و لا تثبت فيما هي عليه إلا إن كانت في جنباتها و حيثياتها ، قاعدة تشرِّع للقبول و الطاعة و عدم النقاش و الجدال في ما يختص أركانها .. و ذلك كله ، كان يمكن حصره و سردقته في ما مضى من زمن و تاريخ يتناسبان مع سوية التفكير الإنساني و حيثية تطوره التوعوي و العلمي الإدراكي .. لكن و مع تقدم الزمن و تطور العلوم و المعارف و العلاقات الإنسانية العامة .. صار من الصعوبة بمكان حصر تلك العقائد و العبادات ضمن عقلية إنسانية و طبيعة نفس بشرية ترى في نفسها القوة و المنعة و السيطرة و امتلاك زمام المعارف و ناصية العلم ، فكان لا بد و الحال هذه و منعاً للتفَلّت و هيمنة الوعي الإنساني على هذه العقائد و العبادات المجردة ، و ظهوره على معايبها و نقائصها و من ثم انكشاف أمرها و بالتالي التبرؤ منها لاحقاً ، كان لا بد من إدخال العنصر البشري نفسه كطرف ثالث و أخير في العبادات الشركية و هو ما استمر إلى يومنا هذا ، و هو ما سنناقشه في المبحث التالي .

مرحلة العنصر البشري

إن مرحلة العنصر أو العامل البشري في العقائد الشركية هي من المراحل الأخيرة في العبادات و العقائد الشركية ، من تاريخ البشرية و وجود البشر على هذه الأرض .. و التي تمثّلت في إدخال العنصر البشري .. شخصاً و تشخيصاً .. كشريك جزئي مع الرحمن رب العالمين – و العياذ بالله – أو كشريك كامل .

و قد دامت عبادة البشر الشخصية التشخيصية ، منذ فترة نشؤها و إلى يومنا هذا و استمرت بقوة و ثبات ، شكلاً و مضموناً .. ذلك لأنها على ما يبدو كانت الأنجع و الأسلَس من حيث حل مشكلة التطور العقلي الإنساني بالارتباط مع تسلسل التاريخ الزمني البشري .. فإن كان الإنسان قد وصل إلى مرحلة زمنية متطورة نسبياً عن فترة بداية وجوده على هذه الأرض ، و لمس فيها أن عبادة الحيوان غير صائبة و غير مجدية ، و قد صارت تشكّل عبئاً ثقيلاً على قناعاته العقلية و الفكرية ، فإنه قد انتقل إلى عبادة الحجارة .. من أجرام و أصنام و نحوها .. و التي شكّلَت حلاً مُرْضياً له و لقناعاته الفكرية و العقلية قياساً إلى عبادة الحيوان ، لكنها و

على ما يبدو لم تكن هي الحل الجذري أو النهائي له .. لذلك و من ثم ، حين وصل إلى مرحلة زمنية متطورة نسبياً عن فترة بداية عبادته للحجارة و لمس فيها أن عبادته للحجارة هي أيضاً غير صائبة و غير مجدية ، و قد صارت تشكّل عبئاً ثقيلاً عليه و على قناعاته العقلية و الفكرية ، فإنه قد انتقل إلى عبادة البشر التي شكّلَت حلاً مُرْضياً له و لقناعاته العقلية و الفكرية قياساً إلى عبادة الحجارة ، لكنها شكّلَت هذه المرة حلاً جذرياً و دائماً لتمايز أهواءه مع قناعاته العقلية و الفكرية .

و لذلك .. بناءً عليه و عليه بناء ، يمكننا أن نصل إلى النتيجة التاريخية الثابتة لعبادات البشر الشركية و ذلك بحسب التسلسل الزمني ، و هي ..

عبادة البقر .. عبادة الحجر .. عبادة البشر .

و بالتالي فإن عناصر العبادات تلك ، و رموزها القدسية هي ..

بقر .. حجر .. بشر .

إن الميزات التي تمتع بها العنصر البشري الشخصي التشخيصي ، كعامل عقائدي شركي مقنع ، كانت كافية لثبات عقيدة ما يسمى .. البشر الإله أو البشر الجزء من الإله – و العياذ بالله – ذلك لأنها استطاعت أن تضم إليها كل عناصر و مقومات العبادات الشركية التي سبقتها و تظهر بها و أهمها العنصر المادي المتمثل بالأصنام و الحجارة و من ثم بشكل ثانوي غير

ذي شأن ، الحيوان الذي تضاءل شأنه إلى درجة كبيرة لكن بقي له بعض المفاصل و المواضع التي احتاجت لها عبادة البشر .. فقد اشتملت عبادة البشر ، على البشر و على الأصنام في الوقت نفسه .. ذلك أن الأصنام قد دخلت في متن و مفاصل بعض عقائد عبادة البشر ، و بالتالي فقد لاقت عبادة البشر ، قبولها لدى جميع الأطراف و استأنس بها من آنسَ عبادة الأصنام قبلاً .

و قد كان من أحد أهم عوامل هيمنة عبادة البشر على عبادة الحيوان ، هو أن الإنسان قد كان منذ بداية عهده تقريباً ، محكوماً بتسلط الإنسان له و خاضعاً لقانون حكم الإنسان للإنسان و ظلم الإنسان للإنسان و قهر الإنسان للإنسان و خداع الإنسان للإنسان و من ثم ، تضليل الإنسان للإنسان .. و هي كما ذكرنا ، قضية قديمة قِدمَ الإنسان تقريباً .. و قد تناولها القرآن الكريم منذ عهد نوح و ما بعد ، و أبانها و أوضح ملابساتها في مواضع عدة ، منها مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت قوم نوح المرسلين (*) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (*) إني لكم رسول أمين (*) فاتقوا الله وأطيعون (*) و ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (*) فاتقوا الله و أطيعون (*) قالوا أنؤمن لك و اتبعك الأرذلون (*) قال و ما علمي بما كانوا يعملون (*) إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون (*) و ما أنا بطارد

المؤمنين (*) إن أنا إلا نذير مبين (*) قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي و تذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم و شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمةً ثم اقضوا إلي و لا تُنظِرون } .
إن تهديد قوم نوح له بالقتل إن لم يتراجع عن دعوته إلى الله رب العالمين ، و من ثم قوله لهم إنه توكل على الله سبحانه و تعالى ، و طَلَبه منهم يقضوا و يفعلوا بما يشاؤون ، هو إشارة واضحة و دليل على وجود سلطة حاكمة مسيطرة بشكل من الأشكال ، و بيدها نوع من أنواع السلطات ، الاجتماعية منها أم الدينية أم السياسة أم غير ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي و يميت قال أنا أحيي و أميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر و الله لا يهدي القوم الظالمين } .
الآية القرآنية السابقة تدل دلالة كبيرة و تعطي صورة واضحة على مفهوم الحاكم البشري الإله – و العياذ بالله – من حيث أنها تتحدث عن إنسان أعطاه الله سبحانه و تعالى ، الحُكم و السلطة و المُلك ، لكنه و ربما

بسبب هوًى في نفسه أو هوس في عقله ، ادّعى في نفسه شيء من صفات الألوهية .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال الملأ الذين استكبروا من قومه لَنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول و إنا لنراك فينا ضعيفاً و لولا رهطك لرجمناك و ما أنت علينا بعزيز } .
توضح الآيتان السابقتان مفهوم ما يسمى بـ (الملأ) و هي السلطة العليا الحاكمة في مجتمع ما ، بشكل من الأشكال ، اجتماعياً كان أم دينياً أم سياسياً .. لكن هذه السلطة لديها من الصلاحية و من القوة ما يكفي لتنفيذ أحكام الموت و النفي .

بسم الله الرحمن الرحيم { هل أتاك حديث الجنود (*) فرعون و ثمود } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون (*) قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون (*) قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفتنون (*) و كان في المدينة تسعة رهط

يفسدون في الأرض و لا يصلحون (*) قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه و أهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله و إنا لصادقون } .

يوضح سابق الآيات مفهوم السلطة العليا الحاكمة في المجتمع و التي لديها السلطان العسكرية و القانونية بالإضافة إلى المقدرة على تنفيذ عمليات الاغتيال .

بسم الله الرحمن الرحيم { و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر و هذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون } .
إن مجرد ذكر اسم فرعون لوحده ، كافٍ لإيضاح مفهوم السلطة البشرية التي تمتلك كل مقومات التحكم و القهر و تمتلك كل موارد الأرض و تدَّعي الألوهية في الوقت نفسه .

بسم الله الرحمن الرحيم { هل أتاك حديث موسى (*) إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوًى (*) اذهب إلى فرعون إنه طغى (*) فقل هل لك إلى أن تزكى (*) و أهديك إلى ربك فتخشى (*) فأراه الآية الكبرى (*) فكذب و عصى (*) ثم أدبر يسعى (*) فحشر فنادى (*) فقال أنا ربكم الأعلى (*) فأخذه الله نكال الآخرة و الأولى (*) إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى } .

كما ذكرنا ، فإن خير مثال على التحكم البشري في البشر و السيطرة عليهم و على مقدرات الأرض مع ادعاء الألوهية و عصيان الله سبحانه و تعالى ، هو شخصية فرعون ، و لا أدّل على ذلك من الآيات السابقة التي توضح هذه الحقيقة بشكل جليّ ربما لا يحتاج إلى إيضاح أو تفسير .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر كيف فعل ربك بعاد (*) إرم ذات العماد (*) التي لم يخلق مثلها في البلاد (*) و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد (*) و فرعون ذي الأوتاد (*) الذين طغوا في البلاد (*) فأكثروا فيها الفساد (*) فصب عليهم ربك سوط عذاب (*) إن ربك لبالمرصاد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم و يستحيون نساءكم و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم } .

يتضح من سابق الآيات جميعاً أن العنصر البشري الطاغي ، قد فرض نفسه من حيث فرض سلطاته المالية و الاقتصادية و العسكرية ، فرضاً على الناس .. و من خلال تلك السلطات استطاع أن يفرض سلطاته الدينية التي مهدت لقدسيته الدينية ، و من ثم ، اتخذ لنفسه مساراً تاريخياً زمنياً استطاع أن يثبّت فيه ، الرمزية القدسية للعنصر البشري ، في الذهنية و العقل البشريين .. و بذلك ، تم التأسيس الشديد الصلب القوي لعبادة

البشر ، بحيث يصير من الصعوبة بمكان لا بل من شِبه الاستحالة ، نزعها من عقول البشر .

كانت عبادة الحيوان و عبادة الأصنام ، قد قاومتا بشراسة ، عبادة الرحمن رب العالمين عليهما ، و هو أمر ذكره القرآن الكريم إذ جاء فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فكذلك ألقى السامري (*) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى فنسي (*) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً و لا يملك لهم ضراً و لا نفعاً (*) و لقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به و إن ربكم الرحمن فاتبعوني و أطيعوا أمري (*) قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم و ألقى الألواح و أخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء و لا تجعلني مع القوم الظالمين } .

تخبر الآيات السابقة عن الجمع بين عبادة الحيوان و عبادة الأصنام ، معاً .. و تخبر أيضاً كيف أنه قد تم فرض هاتين العبادتين فرضاً على عبادة الرحمن رب العالمين ، من قِبل من استهوتهم تلك العبادة ، بالرغم من تحذير

هارون رأس عبادة الرحمن رب العالمين ، لهم من مغبّة ذلك ، لا بل أنهم قد هدّدوه بالقتل و كادوا بالفعل أن يقتلوه .. ذلك كله يبرز صورة الدفاع الشرس العنيف المستميت عن عبادة الحيوان و الصنم .

و مع ذلك فإن هاتين العبادتين لم تصمدا أمام عاديات الزمن الفكرية و العقلية و العلمية ، و ما لبثتا أن تهاوتا و أسلما القياد لعبادة البشر التي دامت و تمددت و استمرت إلى الآن .

لكن ما هي المقومات الفكرية التي اعتمدت عليها عبادة البشر ، و العوامل العقلية التي شكلّت أركانها بحيث ثبتتها حالت دون زوالها من عقول البشر الذين استحبوها و استحسنوها و واظبوا عليها و دافعوا عنها حتى الموت ، مقدّمين في سبيلها النفوس و المُهَج و هم راضين مختارين ؟؟!! .

لقد قامت عبادة البشر عبر تاريخها الطويل المزمِن ، على مجموعة من الأسس الفكرية بالإضافة إلى الأسس المادية التي تناولناها في هذا المبحث ، قبلاً . و أهم هذه الأسس هي ..

١) – الأشخاص و التشخيص .
٢) – عصمة الأشخاص .
٣) – خوارق الأشخاص .

٤) – الفردية الشخصانية .

في المباحث التالية سوف نتناول كل من هذه الأسس على حدة ، في مبحث مستقل و بالترتيب السابق .. و كيف تعامل القرآن الكريم مع كل منها .

الأشخاص و التشخيص

التشخيص هو مصطلح و مفهوم يتعلق أساساً بمفهومي الإشارة و الإيضاح و التبيان و التحديد .. فيقال تشخيص المشكلة ، أي تبيان حقيقتها و جوهرها و أساسها و أصلها و مكانها .. فتشخيص الشيء هو تبيان حقيقته و تحديد هويته و أبعاد مدركاته ، من مكان و جوهر و شكل و عمل و أداء و ما إلى ذلك .

و التشخيص لغة ، مشتق من الجذر (شخص) الذي له معانٍ عدة منها الإنسان .. جاء في معجم (كتاب العين) .. الشَّخْصُ : هو سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد .. و كل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شَخْصَهُ ، و جَمعه : الشُّخُوصُ و الأَشْخَاصُ .

و جاء في معجم (جمهرة اللغة) .. شَخْص كلِّ شيء .. هو ما وقعتْ عليه العين منه ، و لا يكون إلّا جثَّة ، و يقال أيضاً .. رأيت شَخْصَ الشيء .

و جاء في معجم (تاج العروس من جواهر القاموس) .. تَشْخيص الشَّيْءِ أي تَعْيينُهُ .. و شيْءٌ مُشَخَّصٌ أي معرَّف . و المِشَاخِصُ هي الدَنَانِيرُ المُصَوَّرةُ .

إن عبارة (الدنانير المصوَّرة) قد تعطي معنىً واضحاً حول تعريف كلمة شخص ، من حيث أنها تدل على هوية النقود المسكوكة و هوية من هو مضروبة صورته عليها ، من حاكم و مثاله .

كذا الأمر جاء في الشعر العربي قديماً ..
وَ ما وَلّى شُجاعُ الحَربِ إلّا *** وَ بَينَ يَدَيهِ شَخصٌ مِن مِثالي

و قال الآخر أيضاً ..
وَ إذا تَأَمَّلَ شَخصَ ضَيفٍ مُقبِلٍ *** مُتَسَربِلٍ أَثوابَ مَحلٍ مُقفِرِ

إذا و باختصار شديد ، فإن كلمة (الشخص) تعني هوية المرء و صورته الظاهرية و شكله و صفاته .

لكن و قبل كل شيء ، لا بد من الإجابة على سؤال مُلِحٍّ هامّ قد يطرحه القارئ أو قد يطرح هو نفسه تلقائياً و منطقياً ، و هو .. **لماذا**

التشخيص ؟؟!! .. ما هو السر في ذلك و ما هي علاقة التشخيص ، بالشرك بالرحمن رب العالمين و الكفر به ؟؟!! .

إن الجواب على ذلك يكمن في ماهية الصفات الإلهية الربانية التي أتى بها القرآن الكريم و تكلم بها عن الله سبحانه و تعالى ، و يكمن كذا الأمر ، في جوهر و طبيعة العقائد الشركية و سبب رفض الله سبحانه و تعالى ، لها بالمطلق التام ، ذلك لكونها مخالفة تماماً للصفات الإلهية الربانية و مناقضة لها ، إذ أنها تلغيها من حيث مبدأ المقارنة فيما بينهما ، و هو ما يفسر ما جاء قي القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يغفر أن يُشرَك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً } .

و لكي نَعي و نفهم خطورة الأمر و القضية من جوانبها كافة ، لا بد لنا من العودة إلى الصفات الإلهية الربانية التي ذكرها القرآن الكريم ، إذ نذكر ، مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } .

إن كلمات (الله) أو (الإله) تعني الكائن غير المرئي .. فاسم الله يعني الإله .. و كلمة إله تعني في معناها الحيرة و عدم التيقن تماماً .. جاء في معجم لسان العرب : إلِهَ الرجل إذ تحيّر .. و إلِهَ فلان أي لم يصل إلى إدراك المطلوب يقيناً .. و طبقاً لذلك فإن الإله هو المُحار فيه و الذي لا يُعرَف كنهه ، و من هنا فقد جاءت سورة الإخلاص لتدل على ذلك ، و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل هو الله أحد (*) الله الصمد (*) لم يلد و لم يولد (*) و لم يكن له كفواً أحد } .

إن كلمة (أحد) تدل على العاقل الموجود ، لكنه الغائب غير الحاضر عياناً .. و لذلك فإن عبارة (قل هو الله أحد) جاءت كجواب أو رد على استفسار وُجِّهَ للرسول الكريم محمد عن ماهية الله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه و هو على كل شيء وكيل (*) لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير } .
التوصيف الذي أعطته الآيتان السابقتان عن الله سبحانه و تعالى ، هو أنه خالق كل شيء ، إذن .. لا شيء منبثق منه أو مشترك معه في الذات الإلهية .. كما تحدثت الآيتان عن أن الله سبحانه و تعالى ، لا يمكن رؤيته

أو متابعته بالنظر و أنه غير مرئي .. إذن .. فهو ليس بشخص أو مُشَخَّص ، فلا يمكن تشخيصه .

بسم الله الرحمن الرحيم { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ... } .
لا تخبر الآية القرآنية السابقة عن أن الله سبحانه و تعالى ، لا يمكن رؤيته فحسب ، بل تخبر أيضاً إنه من غير الجائز رؤيته ، و أن طلب رؤيته هو ذنب كبير يستوجب العقاب .. فهو إذن ليس بشخص و لا يمكن تشخيصه ، بل لا يجوز تشخيصه .

بسم الله الرحمن الرحيم { ... ليس كمثله شيء و هو السميع البصير } .
بموجب الآية السابقة ، فإن الله سبحانه و تعالى ، ليس فقط لا يمكن رؤيته عياناً ، بل لا يمكن تَخَيّله أو قرنه بشيء يمكن تخيّله به . فهو إذن بعيد تماماً عن التشخيص و التحديد .

بسم الله الرحمن الرحيم { ... يجادلون في الله و هو شديد المحال } .
الله سبحانه و تعالى ، ليس فقط لا يمكن رؤيته و لا يمكن تخيله ، بل لا يمكن حتى افتراض شيء عنه أو منه .. سواء مِن صورة أم من شكل أم

حتى فكرة أو حديث .. فأي تشخيص يمكن أن ينطبق عليه ؟؟!! سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون به علماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء } .
تخبر الآيتان السابقتان إنه لا يمكن معرفة الله سبحانه و تعالى ، و لا يمكن أن يُعلم عنه شيء ، إلا ما أراد هو سبحانه و تعالى أن نعرفه عنه من القرآن الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني و لكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً و خر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك و أنا أول المؤمنين (*) قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين } .
يخبر سابق الآيات أن موسى الرسول قد طلب من الله سبحانه و تعالى أن يريه نفسه ، لكن الله سبحانه و تعالى أخبره إنه لا يمكن له أن يراه .. و

عندما تجلى الله سبحانه و تعالى للجبل و صُعِقَ موسى ثم أفاق ، أعلن توبته و أنه أول من يؤمن أن الله سبحانه و تعالى ، لا يمكن رؤيته .. فقال له الله سبحانه و تعالى إنه قد ميزه على بقية الناس (بما فيهم الأنبياء و الرسل) بكلامه له و لم يقل برؤيته ، أي أن موسى لم يرَ الله سبحانه و تعالى .. ليس ذلك فقط ، بل إن أقصى ما يمكن للمرء أن يناله حظوة و مكانه عند الله سبحانه و تعالى ، هي الكلام أما الرؤية .. فلاا .

بسم الله الرحمن الرحيم { من خشي الرحمن بالغيب و جاء بقلب منيب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنما تنذر من اتبع الذكر و خشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة و أجر كريم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة و أجر كبير } .

تنص الآيات الثلاث ، آنفة الذكر ، على أن الرحمن رب العالمين ليس فقط لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ، بل يجب الإيمان به و التسليم بوجوده ، على أنه غائب عن بصر عباده و مخلوقاته .. و إن من يؤمن بذلك و يعتقد به ، فَلَه ثوابه عند الرحمن رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم { رب السماوات والأرض و ما بينهما فاعبده و اصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً } .
تخبر الآية القرآنية أن الله سبحانه و تعالى ، ليس له اسم يُحَدَد به و يُحصَر (بل له أسماء حسنى) أو ليس له مكافِئ في أفعاله و صفاته و مثاله .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا } .
إن ما يبدو من الآية القرآنية السابقة هو أنه حتى الملائكة لا يمكنها رؤية الله سبحانه و تعالى أو الإحاطة به عِلماً و إدراكاً ، و يظهر ذلك من عبارة (إذ يوحي ربك إلى الملائكة) ذلك أن الإيحاء يكون عادة بين طرفين لا يرى على الأقل ، أحدهما الآخر .

مما سبق من مجموع الآيات ، يتضح أن الله سبحانه و تعالى ، هو ليس بشخص و هو أبعد ما يكون عن التشخيص ، و أنه بمجرد أن نقوم إجراء محاولة أو طرح قواسم مشتركة معينة بين الله سبحانه و تعالى ، و بين التشخيص ، فإننا نكون قد دخلنا في دائرة الكفر البواح الصريح .

هذا من ناحية الصفات و التوصيف فيما بين الله سبحانه و تعالى ، و بين المفهوم الأشخاص و التشخيص .. أما من ناحية الشرك و إمكانية الشرك فيما بين الرحمن رب العالمين و بين غيره ، فهذه قضية قد حسمها القرآن

الكريم تماماً و بشكل قاطع لا يقبل تأويلاً أو نقاشاً .. و من بعض ما جاء في آياته ، مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { له غيب السماوات و الأرض أبصِر به و أسمع ما لهم من دونه من ولي و لا يشرك في حكمه أحداً } .
تقول الآية القرآنية إن الله سبحانه و تعالى ، هو وحده من يملك معرفة ما غاب عن بقية الخلق ، في هذا الكون جميعاً من فضاء و أراضٍ .. و ليس لأحد من مخلوقاته جميعاً أي وكيل أو ولي أمر ، غيره .. و أنه سبحانه و تعالى ، لا يقبل أن يشاركه أحد أياً كان ، حكم و إدارة هذا الكون بمخلوقاته جميعاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً و طَهِّر بيتي للطائفين و القائمين و الركع السجود } .
في الآية السابقة يشترط الرحمن رب العالمين ، على النبي إبراهيم إذ أبان له و أظهرَ ، مكان البيت الذي سيجعله له ، مزاراً و محجة للناس ، يشترط عليه أن لا يشرك به و معه أي شيء .. و كلمة (شيء) هي أعم من كلمة (أحد) لأنها تشمل العاقل و غير العاقل .. كما يشترط الله سبحانه و تعالى ، على النبي إبراهيم أن يطهر بيته من أي مظاهر للشرك به ، سواء من أصنام أم غيرها .. و التطهير يعني الاستئصال التام الكامل .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إن صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين (*) لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين } .

في الآيتان السابقتان ، يطلب الرحمن رب العالمين ، من النبي أن يخبر الناس في دعائه و دعوته ، أن صلواته و طرائق عبادته و معيشته و موته ، هم فقط مخصصين لله سبحانه و تعالى و ليس لأي أحد أو كائن غيره ، و ليس له حتى شريك في ذلك كله ، و أنه مأمور من قِبَل الله سبحانه و تعالى ، بذلك و أنه أول شخص يقرّ تماماً بهذا الأمر و يسلم به و له بالكلية .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي له ملك السماوات و الأرض و لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و خلق كل شيء فقدره تقديراً (*) و اتخذوا من دونه آلهةً لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون و لا يملكون لأنفسهم ضراً و لا نفعاً و لا يملكون موتاً و لا حياةً و لا نشوراً } .

تقول الآيتان القرآنيتان السابقتان إن الله سبحانه و تعالى ، المالك لهذا الكون جميعه بما فيه و من فيه ، لا يشرك معه في ملك له ، أحد .. و ليس له ولد أبداً و ليس له شيء بِضع منه .. و إن كل ما يقال أو من يقال عنه إنه إله أو يوصَف بأنه إله ، غير الرحمن رب العالمين ، هو كذب و اختلاق ، و هو مخلوق من قِبَل الرحمن رب العالمين ، و ليس له أية إمكانية للخلق و لا الضرر أو النفع و لا الإماتة أو الإحياء .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل و كبره تكبيراً } .

تطلب الآية السابقة من الرسول الكريم محمد ، و من الناس أسوة به ، أن يحمدوا الله سبحانه و تعالى ، على أنه لم يجعل له شريك و أن يجعلوه أكبر من أن يكون له شريك في شيء أو من شيء .. و في ذلك نفي تام بالمطلق لوجود شريك لله سبحانه و تعالى ، في شيء أو من شيء .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء } .

تنفي الآية السابقة نفياً قاطعاً أن يكون هنالك رب آخر للإنسان غير الرحمن رب العالمين ، و هي تطرح ذلك بصيغة السؤال الاستنكاري ، و تخبر أن الرحمن رب العالمين هو رب كل شيء و لا رب غيره .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين } .

الآية السابقة هي آية حاسمة قاطعة في قضية و موضوع الشراكة للرحمن رب العالمين ، فهي تخبر أن كل من يجعل من نفسه أو لنفسه أو من غيره أو لغيره ، صفة مشتركة مع الله سبحانه و تعالى ، أياً كانت هذه الصفة ، فهو كافر كفراً بواحاً واضحاً حتماً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمةً إذا فريق منهم بربهم يشركون (*) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون } .

تقول الآيتان السابقتان إن الشرك بالله سبحانه و تعالى ، هو كفر ، و كل كفر هو حرام ، و بالتالي فإن الشرك بالله سبحانه و تعالى ، هو حرام قطعاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألا لله الدين الخالص و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كَفار } .

إن عبادة الرحمن رب العالمين ، و طاعته ، هما خالصتان له تماماً و لا تجوزان أن تكونا لغيره أبداً ، و لو في جزء يسير منهما .. و كل ادعاء أن اتخاذ مخلوقات أخرى من دون الله سبحانه و تعالى ، هو للتقرب من الله سبحانه و تعالى ، هو ادعاء كاذب و افتراء و كفر صريح بالله سبحانه و تعالى .. قُضي الأمر في ذلك من الرحمن رب العالمين .

من خلال ما سبق في هذا المبحث فإنه يمكن القول إن مفهوم الأشخاص و التشخيص كان هو الحل الأمثل المناسب لكل عقائد الشرك بالرحمن رب العالمين ، أو حتى كفر البتة به .. و قد تم بالدرجة الأولى ، استخدام الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، أو بعض الصحابة أو الأتباع الذين

كانوا يتبعونهم .. و ذلك كأمثلة و أداة و رموز لعقائد عبادة الأشخاص و جعلهم رموزاً قدسية مقدسة ، صالحة و جاهزة للعبادة ، و من ثم تشكيل المذاهب الدينية المرتبطه بهم ، فيصير كل مذهب ديني أو طائفة دينية تابعين لشخص معين يتم اصطناعه و إضفاء القدسية و حتى الإلهية الربانية عليه – و العياذ بالله – أو يتم أيضاً جعله يشترك مع الله رب العالمين سبحانه و تعالى ، بأعمال و صفات معينة .. و بهذه الطريقة يتم الابتعاد تماماً و كلياً عن عباده الرحمن رب العالمين ، و يصير الأمر كما هو في عبادة العجل – و العياذ بالله – و ذلك حينما قيل لهم هذا إلهكم أما إله موسى فقد انتهى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى فنسي } .

وكل ما في الامر هنا ، أنه قد تم استبدال العجل بشخص بشري و أُضفِيت عليه كل سمات القداسة و الصفات الربانية و حتى الالهية في بعض الأحيان .

لقد اعتمد أصحاب العقائد الفاسدة .. الخبراء في الضلال و تضليل الأمم و الشعوب السابقة ، اعتمدوا في بنيانهم للعنصر البشري ، على الإتيان بأشخاصٍ بشرٍ معتمدين من قِبَل الله سبحانه و تعالى ، أو من قِبَل الأنبياء و الرسل ، ما عجّل و سهّل في أمر قبولهم لدى عوام الناس و جمهورهم .

لقد كان الأنبياء و الرسل و من تبعهم من التابعين .. كانوا المادة الدسمة و النموذج الأمثل لاعتمادهم كرموز و أشخاص للتشخيص .. ذلك أنهم كانوا أصحاب رسالات إلهيه ربانية معتمدة ، و كانوا كذلك أيضاً أصحاب شرائع .. و بالذات منهم من عُرِفوا بأولي العزم من الرسل كموسى و عيسى و محمد .

كذا الأمر فقد انسحبت القضية على أصحابهم و من تابعهم فيما بعد .. ثم تم التركيز على هذه الشخصيات لإدراجها و دمجها في عماد عبادة الأشخاص .. لكن قبل ذلك ، كان لابد من استحداث حبكة أو جدلية فكرية سلسة متناغمة تقود هؤلاء إلى موضع القداسة و إلى اتخاذ الصفات الإلهية .. و ذلك كله من دون أن يشعر الإنسان العادي التابع المُقاد ، بذلك .. فتم ذلك الأمر شيئاً فشيئاً .. و مع ظهور المذاهب تم اعتماد القداسة في هؤلاء الأشخاص و تحويلها من الرحمن رب العالمين ، إليهم .. من رأس هرم العبادة و هم الأنبياء و الرسل مروراً بمن تلاهم بعد ذلك مِن صحابتهم و مَن رافقهم ، ثم بعد ذلك مَن جاء بعدهم .. لكن و بالإضافة إلى ذلك كله ، جرى انتقاء أشخاص من القرآن الكريم تم ذكرهم فيه ، ليسوا بأنبياء و لا رسل .. أُعطِيت لهم أيضاً صفات القداسة و التبجيل من حيث تم إشراكهم بالله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – ذلك من دون أن يشعر الانسان العادي أنه قد وقع في الشرك .. لا بل إنه

قد تم تضليل هذا الإنسان و إيهامه بأنه إن لم يعتبر هؤلاء البشر المخلوقين مقدَّسين ، فهو قد كفر بالله سبحانه و تعالى .. و لا أدَلّ على ذلك مما نراه اليوم في ديانات المذاهب و الطوائف التابعة للديانات السماوية الثلاث من حيث أنه قد تم تبجيل الأشخاص و تقديسهم حتى وصل الأمر إلى درجة مرعبة تجلت في إضفاء الألوهية على بعضهم ، و هو ما حذّر منه القرآن الكريم متوعداً صاحبه بالهلاك و سوء المصير .

و بجدر بنا أن نشير إلى أن عقائد عبادة البشر ، في مجمل الأحوال و معظمها ، لم تتخذ رموزها البشرية ، في حياتهم بل بعد مماتهم و بفترة قد تكون طويلة بعض الشيء ، بحيث يمكن التلاعب و التحايل على عوام الجمهور ، في إدخال القدسية المزعومة الموهومة لهؤلاء ، إلى عقولهم ، بعد أن بَعُدَ الحال فيما بين الجمهور المعاصر لفترة نشوء تلك العقائد و المذاهب و بين الزمن الذي عاشه هؤلاء الأنبياء و الرسل و من صاحبهم و تابعهم .

إن أول ما يتم ملاحظته في عبادات الأشخاص ، أنه يتم استثناء الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو ، من معظم خطابات تلك العقائد و المذاهب و يتم استبداله بالأشخاص الذين تم اعتمادهم كرموز إلهية مع الرحمن رب العالمين ، أو في أحسن الأحوال يتم إشراكهم

معه في كل شاردة و واردة و لا يُقبَل أن يكون الرحمن وحده هو موضوع الخطاب أو الأثر الديني المذكور .

لقد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في مواضع عدة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً و تفريقاً بين المؤمنين و إرصاداً لمن حارب الله و رسوله من قبل و ليحلفن إن أردنا إلا الحسنى و الله يشهد إنهم لكاذبون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة و إذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير } .

على إن الشيء الأخطر في ذلك ، هو دمج بعض الآيات و شرائع الكتب و منها اليوم القرآن الكريم ، بأعمال و تصرفات هؤلاء الأشخاص أو استبدالها بأحاديث تروى عنهم من التاريخ و الأثر .. لا بل إنه إن زدنا الأمر مِن شعره بيتاً ، فإن ذلك قد فتح باب الأمر فيما بعد أيضاً على

تقديس أشخاص لا علاقه لهم لا بالرسالات و لا بالنبوة .. أي أنهم مجرد أشخاصاً عاديين و ربما كانوا وهميين أيضاً .. ذلك ما جعل عبادة البشر مفتوحة على مصراعيها لكل البشر لكي يصيروا رموزاً دينية مقدسة بدءاً من أعلى الهرم الاجتماعي و الديني إلى أدنى القاعدة ، و هو ما فتح باب الضلال واسعاً سريعاً متسارعاً مُشْرَعاً بشكل لا يمكن إيقافه أو تداركه بعد ذلك .. و ما أسهل علينا اليوم إلا أن ننظر إلى الناس كيف تقدس بعضها البعض .. كيف مَن هَبَّ و دَبَّ ، يقدس مَن هَبَّ و دَبَّ .. و ربما كان الشخص في مرتبة رَذِلة مرذولة فيصار إلى تقديسه و تعميده رمزاً دينياً ربانياً إلهياً شركياً – و العياذ بالله – و لا يمكن نزع هذه الصفات الربانية عنه أبداً .

القضية الثانية التي فتحتها عبادة البشر هي أنها لم تقتصر على عبادة الأحياء منهم بل اشتملت أيضاً على عبادة الأموات أي أن أشخاصاً ماتوا منذ زمن بعيد لكن لم تنتهي عبادتهم حتى بموتهم ، و تم التعامل معهم و كأنهم لا يزالون أحياء ، يتصرفون و يسرحون و يمرحون كما لو أنهم أحياء يُرزَقون ، و هذا أمر فيه من الشرك و الكفر ما فيه .. و كما قلنا من قبل ، فإن أخطر ما في عبادة الأشخاص ، هو أنه يتم بكل سهولة و سلاسة و تناغم ، استبدالهم بالرحمن رب العالمين و خاصة أولئك الذين كانوا أنبياءً و رسلاً و من صاحَبهم و من تابَعهم بعد ذلك .. ذلك كله من دون أي

ملاحظة من قِبَل العوام و بسطاء القوم و أباطِحهم ، لِما يحدث من تغيير في بينة و متن الشرائع الإلهية الربانية .

إن الآلية التي اعتمدها أصحاب الضلالة في تشكيل بنية و أسس و مقومات عبادة البشر و تركيب أسسها و مقوماتها بعضها بعض لتقديمها جاهزة للولوج إلى عقلية و ذهنية الإنسان .. أنها في الواقع ، كانت عملية توليف و موافقة بين عنصرين متنافرين قطعاً ، هما .. الرحمن الإله الرباني ، و العنصر البشري ، من حيث أن العنصر الالهي الرباني بما فيه الشرع القرآني ، لا يقبلا نهائياً و أبداً أي مشاركة مع الرحمن تحت أي مستوى و تحت أي شكل و أي ذريعة كانت ، بينما العنصر البشري قد قَبِل بذلك مسبقاً و مضموناً ، و هذه المؤالفة بين العنصرين هي أساس و عماد عبادة البشر .. التوليف بين المخلوق و الخالق .. الإشراك بين المخلوق و الخالق .

إن عنصر المواءمة أو المؤالفة هذا ، هو الذي سَهّل للبشر اتباع عقيدة عبادة البشر و أن يعبد البشري بشري مثله ، و من ثم و فيما بعد ، فَتْحُ الباب على مصراعيه لأن تشمل عبادة البشر ليس فقط الأنبياء و الرسل و من صاحبهم مِن البشر ، بل مجمل البشر فيما بعد و من كل الأصناف و الأطياف و الفئات و المراتب ، لا فرق .

هنا لابد من التنويه إلى ملاحظة هامة جداً جداً ، و هي التفريق ما بين

عبادة الأصنام بالشكل المجرَّد و بين عباده البشر .. فعبادة الأصنام البتة ، كان الغالب عليها أنها كانت وسيط أو شفيع فيما بين الانسان و بين الله سبحانه و تعالى ، أي بما معناه أن البعض كان يعتبرها تَقربة إلى الله سبحانه و تعالى ، بينما عبادة البشر و في أحسن الأحوال كانت في بعض الَمواطن منها ، وسيط بين الله سبحانه و تعالى و بين الإنسان العادي .. فالإنسان العادي كان يعتبر هؤلاء البشر دعاة له و شفعاء عند الله سبحانه و تعالى ، و هو أمر ذكره القرآن الكريم و نهى عنه و حذر بأنه ليس له أي مفعول أو منطق صائب ، بل العكس تماماً .. إذا جاء فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات و لا في الأرض سبحانه و تعالى عما يشركون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً و لا يعقلون (*) قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات و الأرض ثم إليه تُرجَعون } .

لقد قامت عبادة الأشخاص على إحلال الشخص المعبود كبديل عن الله سبحانه و تعالى و ذلك بأن تنتقل كل صفات الله سبحانه و تعالى أو معظمها إليه .. و في أسوأها يُشار إليه بأنه هو الإله – و العياذ بالله –

فتُختَلق له كل الصفات الخارقة و غير البشرية و غير الطبيعية ، و يكون بيده الحل و الربط و تحديد مسار الكون و مخلوقاته و تُنسَب له كل الصفات التي تُنسَب إلى الله سبحانه و تعالى ، و ذلك يقع في خانة تفضيل العبد على المعبود أو جَعْل العبد هو المعبود ، و قد ذكر القرآن الكريم شيء من هذا إذ قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حباً لله و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً و أن الله شديد العذاب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جعلوا لله مما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله و ما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون } .

ولا يهم في حالة عبادة البشر أن يكون الشخص المعبود هو نبي مرسل أم غير مرسل ، ففي بعض العبادات قد يكون المعبود شخصاً عادياً مجهول الهوية ليس له سيرة تُذكَر ، فتوضع له هوية و يُختلَق له أصل و اسم و تسمية و مسميات و تحديد و تشخيص ، فيصير بيده الحل و الربط ، فكان لابد و الحالة هذه من ايجاد بعض التفاعلات و الوسائط الكيماوية العقلية الذهنية – إن صحت التسمية – فيما بين الانسان العادي البسيط

أو الجاهل ، و بين الإنسان المختلَق المعبود المفترى عليه و له ، إنه إله .. و غالباً ما كان لهؤلاء أحاديث و أدعية معينة ليكونوا هم الأداة المقبولة لدى الناس ، و أن يكونوا هم الذين يتحملون أخطاءهم أو هم السفراء فيما بينهم و بين الله أو هم الوسطاء ، و هو ما تطرق إليه القرآن الكريم في بعض مواضعه عندما قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً و لا يعقلون (*) قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات و الأرض ثم إليه تُرجَعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا و لنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (*) و ليحملن أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم و ليُسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون } .

إن عباده البشر لم تأتي بشكل عارض من دون مقدمات و من دون تمهيدات و من دون تهيئة ، بل كان هنالك التهيئة و الوساطة و الصعود درجة درجة أو الاقتراب خطوة خطوة .. و لكن و بالأحوال كافة لم يكن بالإمكان إدراج أشخاص مجهولين معطى لهم تسمية في الكتب السماوية أو القرآن الكريم ، بل كان يتم إدراج الأنبياء و الرسل ، كآلهة أو أنصاف

آلهة ، كشفعاء عند الآلهة ، بمعنى أن البداية كانت من الأنبياء و الرسل ، من دون الإنسان العادي الجاهل البسيط الساذج ، ثم تم الانتقال إلى أشخاص مجهولي الهوية أو ربما أشخاص وهمين لا وجود لهم أصلاً .

لقد تم التركيز في عبادة الأشخاص على أمر مهم جداً يمكن اعتباره ركناً أساس في هذا النوع من العبادات ألا و هو تحديد الهوية ، أي هوية الشخص المعبود ، لذلك فلم يكن بالإمكان على ما يبدو عبادة شخص غير معروف الهوية أو ليس له اسم أو ملف تعريف إن صحت التسمية .

لذلك فقد كان أشخاص هذا النوع من العبادات يندرجون ضمن فئتين اثنتين .. الفئة الأولى هي الفئة المُعَرَّفة سلفاً أو المعروفة سلفاً و يندرج فيها الأنبياء و الرسل و الصحابة و الرجال المؤمنون الصالحون الذين اشتهروا بصلاحهم و إيمانهم و عملهم الصالح ، حتى أنه يقال إن بعض الأصنام التي كانت تُعبَد قديماً ، كانت لأشخاص كانوا أساساً رجال دين اتقياء ورعين لا يشركون بالله و لكن بعد وفاتهم تم اتخاذهم كآلهة أو وسطاء لآلهة يُشرَك بهم مع الله سبحانه و تعالى ، لكي يكونوا زلفى و شفعاء للناس عند الله .. و قد قيل إن بعض أسماء الأصنام كانت أسماء رجال صالحين ، و عليها ارتكزت عبادة الأشخاص الذين كان لهم هوية أو أثر فعل في التاريخ .. ذلك أن الشخص المعبود في عقيدة عبادة الأشخاص ، يشترط أن يكون له شيء مُعَرَّف به ، كاسم أو تعريف شخصي أو تعريف فعلي

في التاريخ .. مثلاً الشخص الذي فعل كذا و كذا أو كان كذا و كذا .. ذلك أن الناس على ما يبدو كانت تعتمد أسماء و أفعال أو منصب الشخص أو موقعه في المجتمع و الدين .. فإن كان الشخص ذا موقع و أثر فاعلين في المجتمع أو الدين أو غير ذلك ، و لم يكن له اسم .. يجري فوراً اختلاق اسم له و تحديد هذا الاسم .

في الواقع ، إن أساس عملية الشرك بالله سبحانه و تعالى أو اتخاذ بديلاً له – و العياذ بالله – كما ذكرنا من قِبَل الإنسان ، منذ نشأته و وجوده على هذه الأرض و تعَرّضه للدين أو تعَرّض الدين له ومعرفته به .. كان أساسها هو طلب رؤيه الله سبحانه و تعالى .. و يبدو أن هذه كانت عقدة لدى الإنسان منذ القديم .. أريني الله .. أريد أن أنظر إلى الله .. أريد أن أراه بالعين المجردة ، حتى الأنبياء و الرسل انتابتهم مثل هذه القضية ، فقد تحدّث القرآن الكريم عن حادثة طلب موسى الرسول من الله سبحانه و تعالى ، أن يراه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني و لكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً و خَرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك و أنا أول المؤمنين } .

و على ما يبدو فإن هذه القضية أو الإشكالية كان لها أيضاً دور و أثر في عبادة الأصنام و الأشخاص ، فمِن أحد الأسس التي اعتمدت عليها عبادة الأشخاص ، كان تَجَلّي الله سبحانه و تعالى ، في صورة أو شخص معين ، و ذلك تلبية لرغبة إنسانية .. و هذه التلبية ليست من الله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – ذلك لأن الشرك بالله سبحانه و تعالى ، هو أمر محسوم قطعاً و سلفاً البتة ، في القرآن الكريم من حيث الرفض و التحريم .. لكنها كانت رغبة دفينة لدى الإنسان نفسه أن يلبي هو لنفسه هذه الرغبة ، و هو أمر ذكره القرآن الكريم في مواضع عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصاعقة و أنتم تنظرون } .

هي رغبة الإنسان الدفينة في رؤية شيء مادي ملموس ذا أثر عياني ، يدل على الإله ، في أحسن الأحوال ، و في أسوأها يكون هو الإله – و العياذ بالله – و لهذا ، و من ذلك المبدأ ظهر مفهوم التشخيص كأساس و ركن في عبادة الأشخاص .

و السؤال المطروح هنا ، هو .. كيف تعامل القرآن الكريم مع مفهوم الأشخاص و التشخيص ؟؟!! و ما هي الدلالات التي قدمها كإشارة إلى تقييمه لهذا المفهوم ، من حيث الرفض أو من حيث القبول ؟؟!! .

لقد أدرك القرآن الكريم (إن صح القول) خطورة التشخيص ، شركاً و كفراً ، و أثره في صرف الإنسان عن عبادة الرحمن الإله الواحد الأحد لا إله إلا هو لا شريك له و معه ، في شيء أو من شيء .. و عن توحيده و الإخلاص له في الدين . و أشار إلى مغبّة هذا الفعل الشنيع من حيث أنه قد ألغى التشخيص نهائياً فيه ، و أما من أعطى القرآن الكريم ، اسماً له .. كالأنبياء و الرسل .. فقد وضع له حداً في المراتب و المقامات الدينية و أكد في الوقت نفسه على بشرية هذا الشخص و نفي أي صفة فوق بشرية له .

و مِن أمثلة نفي التشخيص في القرآن الكريم ..

١) – عدم ذكر اسم الشخص ، بالرغم من أهمية دوره الديني .. و في حالة حضوره مع نبي من الأنبياء أو الرسل ، فإنه يتم ذكر النبي أو الرسول صراحة ، و لا يتم ذكره هو .

٢) – الاختصار و الاقتصار الشديدين في ذكر دور هذا الشخص ، بحيث لا يتجاوز ذكر دوره في أحسن الأحوال ، آيتين أو ثلاث .. و ذلك خلاف ذكر الأنبياء و الرسل الذين تجاوز ذكرهم في

القرآن الكريم ، آياتاً كُثراً ، و منهم من نزلت سور قرآنية باسمه ، كسورة هود و سورة محمد .

٣) – عدم تكرار ذكر هذا الشخص في القرآن و مواضعه ، أكثر من مرة .. على خلاف الأنبياء و الرسل الذين تكرر ذكر معظمهم في القرآن الكريم و مواضعه أكثر من مرة .

٤) – حتى بالنسبة للأنبياء و الرسل ، يلاحَظ أن القرآن الكريم ذكر أسماء الأنبياء و الرسل الذين كانت لهم شرائع و كتب سماوية من الله سبحانه و تعالى ، و كانوا في أساس مهمتهم و رسالاتهم ، يدعون حصراً إلى الله سبحانه و تعالى مخلصين له الدين .. فهنالك أنبياء – كما سنرى – تم إغفال اسمهم أو تشخيصهم في القرآن الكريم .

و قبل الولوج في قضية الأشخاص و التشخيص ، لا بد لنا من إيضاح قضية هامة جداً ، و هي .. إن الأشخاص الذين ورد لهم تشخيص في القرآن الكريم ، من اسم و نحوه ، كالأنبياء و الرسل ، لم يُعطى لهم أية خوارق فوق بشرية ، باستثناء بعض المعجزات لبعضهم .. و أما الأشخاص أصحاب الخوارق و القدرات فوق البشرية ، فلم يأتِ لهم أي تشخيص في القرآن الكريم .. و هنا .. و من هذه النقطة بالذات ، نستطيع فهم خطورة قضية الأشخاص و التشخيص في القرآن الكريم و كيف حذر منها القرآن الكريم بهذه الطريقة من التعاطي .

كما يُلاحَظ في القرآن الكريم أن الأنبياء و الرسل ، لم يكونوا أصحاب مَنْعَة من الناس ، إلا من اختصه الله سبحانه و تعالى ، بذلك و عصمه من الناس و هو أمر له مصداقه في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا موسى الكتاب و قفينا من بعده بالرسل و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم } .

بينما كان أولئك الأشخاص غير ذوي التشخيص ، أصحاب منعة و عصمة من الله سبحانه و تعالى ، عن الناس .. و هو ما سوف نلاحظه ، تالياً .

لقد ألَحَظَ القرآن الكريم أهمية المفارقة بين الشخصيات القرآنية المشَخَّصة كالرسل و صحابتهم و تابعيهم و ما تلاهم من صالحين ، و بين غير الشخصيات القرآنية غير المشَخَّصة أي تلك التي ليس لها اسم و التي تميزت بقدرات فوق بشرية .. و السبب هو أن القرآن الكريم لا يريد إعطاء هذه الشخصيات أي مجال لأن تكون قدسية يُشرَك بها بالله سبحانه و

تعالى ، عِلماً أن القرآن الكريم قد ذكر نقطة هامة و هي احتمال أن يتخذ بعض الأنبياء أو الرسل من أنفسهم آلهة أو أرباباً لعوام الناس ، فقد جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون } .

و الله سبحانه و تعالى ، في القرآن الكريم ، يدقق في هذه النقطة أيضاً ، من حيث قد جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً (*) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً (*) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عدداً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجِبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب } .

إن القرآن الكريم يبرز لنا قضية هامة جداً و هي قضية اتخاذ مواد شِركية للشرك بالرحمن رب العالمين لا إله الا هو وحده لا شريك له .. فمن خلال سرده لقصص و حوادث لأشخاص مشَخَّصين في مواضع معينة ، يرسل خلالها رسالة أو رسائل عدة إلى الناس تكون فيها حكمة بالغة لهم .. مطلوب منهم الالتفاف لهذه الحكمة الربانية ، و مطلوب منهم فهمها وعيها و إدراك ما يريده الله سبحانه و تعالى ، منهم بموجبها و بموجب فعل ذلك الشخص أو الرجل الذي لم يذكر اسمه و لا هويته .. ذلك أن الدلالة في القرآن الكريم على عدم ذكر اسم الشخص ، هي أن لا يلقى له بالاً كشخص ، بل الالتفات إلى عمله و حديثه و كلامه و معرفة ما صنع و لِما صنع ، و ما قال و لِما قال .. أي أن هذا الشخص هو رسول من عند الله لكن بصيغة أخرى غير صيغة النبي أو الرسول المُشَّخص الذي له اسم .

و ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، كأشخاص من دون تشخيص ، نذكر منهم الآتي ..

زوج آدم ..

هي أول شخصية بشرية ذكرها القرآن الكريم بعد خلق آدم .. و قد ورد ذكرها كزوجة لآدم ، و في مواضع عدة من القرآن الكريم ، تناولت بالدرجة الأولى قضية خروجها و زوجها آدم من الجنة ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالاً كثيراً و نساءً و اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة فكلا من حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (*) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما و قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (*) و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين (*) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (*) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين (*) قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (*) إن لك ألا تجوع فيها و لا تعرى (*) و أنك لا تظمأ فيها و لا تضحى (*) فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى (*) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و عصى آدم ربه فغوى (*) ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى (*) قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدًى فمن اتبع هداي فلا يضل و لا يشقى } .

يتضح من سياق الآيات السابقة ، أهمية مقام و منزلة زوجة آدم ، فهي ثاني شخصية بشرية خلقها الله سبحانه و تعالى ، بعد آدم ، و هي أول من دخل معه الجنة و عاش معه و خرج معه من الجنة بعد أن أخرجهما الله سبحانه و تعالى منها ، بعد أن كانت شريكة زوجها آدم في معصية الله سبحانه و تعالى ، من حيث أنه نهاهما عن أكل الشجرة المحرمة .

و بالرغم من أن القرآن الكريم قد أسهب و أفاض في ذكر آدم أبو البشر و كيفية خلقه و اسمه و عرضه على الملائكة و طلبُ الله سبحانه و تعالى ،

منهم ، السجود له و ما تبع ذلك ، و كيفية تعليم الله سبحانه و تعالى له الأسماء و طلبه منه أن ينبئ الملائكة بها ، و ما تبع ذلك من تشخيص كامل لآدم .. فإن القرآن الكريم ، لم يجعل لزوج آدم اسماً و لا هوية تعريفية (أي تشخيص) و لا أي شيء يدل على شخصيتها أو على عمل قامت به .. و ذلك ليس انتقاصاً من دورها و قدرها ، إنما لأنه لا موجب لذلك أبداً ، بل على العكس إننا لَنلاحظ أن القرآن الكريم لم يُحَمّلها المسؤولية المطلقة عن الأكل من الشجرة التي حرّمها الله سبحانه و تعالى ، بل جعل ذلك لآدم بالدرجة الأولى ، إذ جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و عصى آدم ربه فغوى } .
هنا ذكرت الآية القرآنية أن آدم و زوجه قد أكلا من الشجرة لكن المعصية و مسؤوليتها قد وقعتا على آدم بالدرجة الأولى .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزماً } .
هنا أيضاً حمّلت الآيةُ آدمَ المسؤولية التامة عن الأكل من الشجرة التي حرمها الله سبحانه و تعالى ، و لم تتم الإشارة إلى زوجه أبداً .

لكننا و بالنظر إلى خارج القرآن الكريم ، نجد أن سيرة زوج آدم قد امتلأت شُخصاً و تشخيصاً .. من وضع تسمية لها (حواء) إلى وضع سيرة حياة لها و للقائها مع آدم و كيف فعلا و ما صنعا و لِما صنعا .. كذا .. كذا .. في حين أن القرآن الكريم لم يرد لنا أن نعلم عن زوج آدم إلا ما أراد هو فقط إخبارنا به و من حيث أن ما لم يذكره لنا عنها ، لا يهمنا و لا يعنينا في شيء .

ابنا آدم ..

ورد ذِكر ابنَيّ آدم في القرآن الكريم ، في موضع واحد فقط ، حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (*) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (*) إني أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النار و ذلك جزاء الظالمين (*) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (*) فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري

سوأة أخي فأصبح من النادمين (*) من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً } .

تروي الآيات السابقة الذكر ، حادثة خطيرة جداً ، و هي ذات أبعاد و دلائل عدة .. فهي تتحدث ربما عن أول عملية قتل في التاريخ البشري .. كما إنها تتناول قضية العمل الصالح و تقديم القرابين لله سبحانه و تعالى ، بهذا الشأن .. و تتحدث عن قبول الله سبحانه و تعالى ، للعمل الصالح أو عدم قبوله .. و تخبر عن الإنسان المؤمن و كيف أنه لا يبتدأ الظالم بالظلم ، حتى و إن أذاه أو ابتدَرَه بالظلم أو القتل .. و تتحدث عن عملية الدفن و كيفية تطبيقها و إجرائها .. كما تتحدث تلك الآيات عن أول قانون إلهي رباني وُضِعَ لمنع القتل .

إذن هي آيات هامة جداً جداً و تتطرق لنواحٍ خطيرة جداً ، و أشخاصها هم على درجة من كبيرة الأهمية (ابنا آدم) .. لكن و مع ذلك و بالرغم من كل ذلك ، فإن القرآن الكريم لم يتطرق أبداً لتعريف شخصَيّ لابني آدم (التشخيص) بل اكتفى فقط بذكر حادثة القتل و حيثياتها و ملابساتها و آثارها ، و تعريف العمل الصالح و القرابين لله سبحانه و تعالى ، و غير ذلك .. فكانت تلك الشخصيتان ، أداتين فقط لسير تلك الحادثة و لتبيان أنها حادثة قديمة جداً ، حيث لم تكن هنالك شرائع لا قوانين

اجتماعية و دينية ، بعد ، و ذلك من عبارة (ابني آدم) التوصيفية ، و التي تعطي دلالة على الحادثة وقعت في زمن آدم أو زمن قريب منه .. و لم يكترث القرآن الكريم أبداً بإعطاء أي اسم أو تعريف أو تشخيص لابنَيّ آدم .. لا اسماءهما .. لا مكان ولادتهما و ترعرعهما .. لا أسم والدتهما أو والدتي كل منهما (إن صح ذلك) و لا أي شيء آخر عنهما .

ذو القرنين ..

ذو القرنين .. هي شخصية ورد ذكرها في القرآن لمرة واحدة أو في موضع واحد فقط ، كما في سياق الآيات التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً (*) إنا مكّنا له في الأرض و آتيناه من كل شيء سبباً (*) فأتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة و وجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب و إما أن تتخذ فيهم حسناً (*) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً (*) و أما من آمن و عمل صالحاً فله جزاءً الحسنى و سنقول له من أمرنا يسراً (*) ثم أتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً (*) كذلك و قد أحطنا بما لديه خبراً (*) ثم أتبع سبباً

(*) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً (*) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا و بينهم سداً (*) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردماً (*) آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً (*) فما اسطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً (*) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء و كان وعد ربي حقاً } .

مما يظهر من سابق الآيات ، يتضح لنا ما يلي ..

١) – وردَ ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم ، كشخص أو شخصية حربية عسكرية لكن من دون تشخيص ، فقد أُعطيَ له اسم صِفَوي و ليس اسم هوية .. فاسم (ذو القرنين) هو اسم دلالي يدل على صفة أو سمة تتعلق بالشخص من دون ذِكر اسمه ، كأن يقال مثلاً .. ذو الرداء الأحمر .. ذو القناع الأزرق .. ذو الوجه الجميل .. الخ . و ربما كان اسم (ذي القرنين) دلالة على الخوذة الحربية التي كان يضعها هذا الشخص و لها قرنين ، فنُسِبَ ذو القرنين لها .. إذ أنه من المؤكد أن له اسم شخصي خاص و معروف به من قِبَل أتباعه أو جنده أو قادة جيشه مثلاً .. لكن القرآن الكريم آثر أن تكون علاقة ذي القرنين ، ليست مع هؤلاء ،

بل مع أشخاص غرباء عنه لا يعرفونه من قبل و لم يقم هو بإطلاعهم على اسمه الشخصي ، فنسبوه إلى الخوذة الحربية التي رأوها عليه و صاروا ينادونه بها .

٢) – يلاحظ أيضاً في القرآن الكريم أن ذا القرنين قد أُعطِيَ صلاحيات كبيرة واسعة قد تجاوزت صلاحيات الأنبياء و الرسل .. فهو قد كان معصوماً من الناس و كان له جيش و له صولات و جولات لم يتمتع بها أحد من قبل أو من بعد ، من حيث أنه قد وصل إلى مشارق الأرض و مغاربها و أُعطيَ له حق القضاء بين الناس و الحكم عليهم بالعذاب أو الإحسان .. و قام أيضاً بعمل جبار (إن صحّت التسمية) من حيث أنه قد بنى سد كبير ضخم أو حاجز هائل يمنع يأجوج و مأجوج من مهاجمة القوم الذين استقبلوه و رآهم عند مطلع الشمس .. و ذو القرنين هذا ، كان مُمَكَّن له في الأرض ، الإمكانيات الكبيرة و الهائلة إذ كان ذا شخصية هامة جداً و ذا تأثير قوي جداً .. تأثير عالمي إذ أنه وصل إلى أماكن قَصية في الأرض و تعامل مع شعوب كثيرة و قام بإنجازات و تأثيرات هائلة .. و مع ذلك ، لم يذكر له القرآن الكريم أي اسم أو يحدد له هوية .

٣) – الأمر الثالث في قضية ذي القرنين ، هو أن هذه الشخصية غير المشَخَّصة ، قد تكلمت عن أحداث غيبية أو مستقبلية ستأتي فيما بعد ، و تكلمت عن أحداث و وقائع ربما لم يتكلم عنها أحد ،

كعلم الساعة أو شيء قريب من علم الساعة حينما تحدث عن انهيار السد .. و هذه أيضاً ميزة لم تُعطى للأنبياء و الرسل .

٤) – إن ذا القرنين قد أُعطيَ أسباب كل شيء تقريباً فكان يتبع الأسباب التي أعطاه إياها الله سبحانه و تعالى .. و هو أمر لم يكن للأنبياء بجميع أسبابه أي أن الأنبياء و الرسل قد أُعطوا في دعواتهم و رسالاتهم بعض الأسباب لكن ليس كلها .. فهذه الشخصية .. ذو القرنين ، كانت شخصية عامة لكن ذات قدرات خارقة ، سواء على مستوى العلم و المعلومات بالغيب أم على مستوى القدرة المادية ، و بالتالي كانت صالحة لأن تكون مثاراً للتقديس و الرمز القدسي .

٥) – إن ذا القرنين و بالرغم من كل ما ذُكِرَ عنه آنفاً ، لم يُعطِه القرآن الكريم أي هوية تشخيص أو تعريف ، و لم يكرر له ذكر في مواضعه و سوره ، سوى هذا الموضع الذي ذكره فيه .. ذلك كله لكي يأخذ الناسُ فقط العبرة من أعماله و تصرفاته و كلامه و يبتعدوا عن تقديسه و إدخال أنفسهم ، بعلم أو من غير علم ، في دائرة الشرك بالله سبحانه و تعالى ، وصولاً إلى الكفر به .

العبد الصالح ..

العبد الصالح ، هو الرجل الذي التقى به الرسول موسى و طلب منه الصحبة على أن يعلمه مما أتاه الله سبحانه و تعالى ، علماً .. و في ذكر هذا الشخص ، قال القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً (*) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً (*) فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً (*) قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت و ما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره و اتخذ سبيله في البحر عجباً (*) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً (*) فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا و علمناه من لدنا علماً (*) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً (*) قال إنك لن تستطيع معي صبراً (*) و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً (*) قال ستجدني إن شاء الله صابراً و لا أعصي لك أمراً (*) قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً (*) فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرَقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً (*) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً (*) قال لا تؤاخذني بما نسيت و لا ترهقني من أمري عسراً (*) فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد

جئت شيئاً نكراً (*) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً (*) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً (*) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً (*) قال هذا فراق بيني و بينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً (*) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها و كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً (*) و أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً و كفراً (*) فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً و أقرب رحماً (*) و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما و كان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما رحمةً من ربك و ما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً } .

إذا دققنا في حادثة العبد الصالح مع موسى الرسول ، فإننا نقف على النقاط الهامة التالية التي أبرزها القرآن الكريم فيها ، و منها ..

١) – إن موسى الرسول هو من طلب لقاء العبد الصالح ، و انطلق هو و فتاه في البحث عنه .. أي أن النبي الذي هو الشخص المشَخَّص أي المحدد و المعرَّف بالاسم ، وكان له هذه الأهمية من حيث أنه مرسل من الله سبحانه و تعالى ، أو سيكون مرسل من قِبَله ، و قد كلم الله أو سيكلم الله بعد هذه الحادثة .. قد جَدّ في طلب ذلك الرجل ، الشخص غير المشَخَّص و البحث عنه .. و

هو ما يتضح من سياق الآية القرآنية من حيث أنه كان هو و فتاه في رحلة ، و أنه عندما أخبره غلامه أنه نسي الحوت ، و أن الحوت بطريقة عجيبة قد قفز إلى البحر .. فهم موسى الرسول أنه يجب عليه العودة في نفس الطريق الذي جاء منه لكي يلقى هذا العبد الصالح الذي على ما يبدو كان على موعد معه ، بطريقة من الطرق .

٢) – لم يذكر القرآن الكريم لهذا العبد الصالح اسماً قط ، و لا هوية معينة ، إذ كانت كل عبارات القرآن واضحة في الإيحاء لقارئ القرآن الكريم ، أنه من الأهمية لك بمكان ، أن لا تعرف من هو هذا العبد الصالح .. و هو شخص غير مشَخَّص و تشخيصه لا يعنيك في شيء .. و ذلك من الآية القائلة (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا و علمناه من لدنا علماً) أي هو بكل مقامه ، بنظر القرآن الكريم ، شخص لا على التحديد .. عبد لله .. عبد من عباد الله .

٣) – يطلب موسى الرسول ، و هو الشخص المشَخَّص (و هذه قضية جدلية تثير الاهتمام) يطلب من شخص غير مشَخَّص ، أي مجهول الهوية (إن جازت التسمية) ، أن يسمح له أن يكون تابعاً له .. يخدمه في مجريات مسير رحلته ، على أن يتعلم منه شيء مما علّمه الله إياه .. لكن الرجل في البداية يرفض و يقدم أعذاراً وحججاً لعدم قبوله برفقة موسى له ، و علّل أن موسى لن

يستطيع أن يتقبل أموراً ليس لديه الخبرة الكاملة في بواطنها و خفاياها .. لكن و مع ذلك فإن موسى أصر على الرجل المجهول ، القبول به تلميذاً و ربما خادماً له ، لأنه مفتقراً إلى خبرة و علم الرجل .

٤) – تفاصيل هذه الحادثة كلها ، تدور حول هذا العبد الصالح مجهول الهوية ، من حيث أنه كان يتدخل في كل شأن و حدث من أحداث الرحلة جميعها .. مِن خرق السفينة إلى قتْلْ الغلام إلى إقامة الجدار المنقَضّ ، بينما كان موسى الرسول مجرد متفرج لا يتدخل و غير مسموح له التدخل في أي حدث من هذه الأحداث و الوقائع .. و عندما استنكر موسى فعل الرجل في الحادثتين الأوليتين ، نهاه الرجل عن التدخل و قام بتذكيره شروط الرفقة و الصحبة .. لكن عندما تدخل موسى الرسول كَرّةً أخرى و أعطاه نصيحة في الحادثة الثالثة الأخيرة و التي هي إقامة الجدار .. قام العبد الصالح فوراً بفض شراكة الصحبة بينه و بين موسى ، قائلاً له إنه لن يستطيع المتابعة معه لأنه لم يصبر على عواقب الأمور و نتائجها و ليس له الخبرة في ذلك .. عِلماً أن موسى كان في كل حادث يعبّر له عن تأسفه و أنه لن يتدخل فيما لا يعنيه .. ثم بعد ذلك يقوم الرجل بشرح كل قضية من القضايا و تبيان ملابساتها و إشكالياتها و لماذا فعل ذلك و لأجل ماذا ، و هذه

كانت كلها أمور تندرج ضمن الغيب الذي لم يلحظه موسى أو الذي لا يستطيع أن يحيط به .

٥) – إن العبد الصالح و الذي هو ذو أهميه عالية جداً ، لم يذكر له القران الكريم اسماً أو هوية أو تشخيصاً ، أبداً ، بل كل ما قاله عنه إنه (عبداً من عبادنا) .. كما نوه القرآن الكريم إلى أن عِلم هذا الرجل و معرفته ، ليسا من لدنه هو بل هما من الله سبحانه و تعالى و بإذن الله سبحانه و تعالى و بأمره ، فلا فضل للرجل و منّة .

٦) – أخبر العبد الصالح ، موسى أن أعماله و تصرفاته التي قام بها ، ليس كلها من أمره ، و ذلك من عبارة (و ما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً) .. أي أن الرجل و بعد كل هذه الأحداث و الخوارق العلمية الغيبية التي قام بها ، كان عبداً مقيَّداً مأموراً ، لم يعط له القرآن الكريم أي تسمية أو هوية أو تشخيص .

٧) – هنالك أشخاص عدة ، قد ورد ذكرهم ضمن سياق حادثة العبد الصالح مع موسى .. و كانوا هم أساس و عماد و وقائع هذه الحادثة من بدايتها و حتى نهايتها ، و مع ذلك لم يذكر لهم القرآن الكريم أية أسماء أو هويات ، بل تركهم أشخاصاً بلا تشخيص ، مقتصِراً فقط في ذكر أدوارهم في تلك الوقائع مثل .. فتى موسى .. السفينة .. المساكين الذين يعملون في السفينة .. الملك الذي يأخذ السفن غصباً .. الغلام .. أبواه المؤمنين .. القرية

التي أتياها و أهلها .. الغلامان اليتيمان و أبوهما الصالح .. كلهم أشخاص لا تشخيص لهم في القرآن الكريم ، مع أن العبد الصالح قد أورد ذكرهم كجواب لموسى ، و تبرير لما فعله و قام به .

٨) – نجد في الجانب الآخر ، خارج القران الكريم أنه قد تم بدقة تحديد هوية الرجل المسمى بالعبد الصالح ، و تشخيصه ، مثل .. اسمه (سمي بالخضر) .. أين ولد .. كيف عاش .. صفاته .. شكله .. هيئته .. طوله .. عرضة .. بقية مقاييسه .. ماذا فعل و ماذا أصبح .. و هذا الشخص غير المشخص في القرآن الكريم ، قد صار له ذكر كثير في الخطابات و الأدبيات الدينية و الأثر الديني التاريخي من حيث أنه نال أهمية كبيرة جداً جداً .. على أن الشيء الأخطر في ذلك كله ، هو أن هذا الشخص قد تم اعتباره لا يزال حي يرزق إلى الآن ، أي أنه حي لا يموت ، و أنه لا تزال له أفعال خارقة و أنه قادر على فعل أشياء لا يستطيع البشر القيام بها ، و هي في القرآن الكريم تندرج ضمن اختصاص الله سبحانه و تعالى ، التي لا يعطيها لأحد غيره ، بينما موسى مذكور عند هؤلاء أنه قد مات و لم يعد له حول و لا قوة و لا أثر أو تأثير ؟؟!! .. و في ذلك كله ، شرك كبير و عظيم ، لا بل كفر بالله سبحانه و تعالى من حيث الصفات و الأعمال و غيرها .. هذا و قد أُقيمت للرجل مقامات و نُصب حجرية و أماكن للتبَرّك و الزيارة .. بينما

هو ببساطة ، شخص غير معروف ، أتى ذكره في القران الكريم مرة واحدة و من دون اسم و من دون تشخيص .

ما اتضح من الآيات القرآنية التي تناولت قضية العبد الصالح ، هو أن الله سبحانه و تعالى ، قد آثَرَ فقط أن نعرف الحكمة من وجود هذا الشخص و أفعاله .. و ما فعل .. و كيف فعل .

إن الله سبحانه و تعالى ، يريدنا من خلال هذا الرجل أو بواسطة هذا الرجل ، أن نستدل على بعض من حكمة الله سبحانه و تعالى ، في شؤون خَلقه .. فليست القضية أن نعرف من هو العبد الصالح و ما هو اسمه و من هي هويته و من يكون و كيف هو شكله و هيئته .. القضية هي أن نتعرف على أبعاد الأعمال التي قام بها هذا الرجل ، أما شخصيته فهي ليست من مجال اهتمامنا في شيء يريدنا الله سبحانه و تعالى أن نعرفه .. و مع ذلك و بالرغم من ذلك كله ، تم إنشاء سجل مدني له كما يقال ، أو ذاتية و مكان ولادة .. أين ظهر و أين عاش و أين و أين .. تفاصيل كثيرة عنه .. عِلماً أن موسى الرسول ربما يكون قد أُغفِلَ تماماً قياساً إلى سيرة هذا الرجل مجهول الهوية ، في حين أن غاية القرآن الكريم هي غير ذلك تماماً .

مؤمن آل فرعون ..

هو شخص من آل فرعون ، لم يذكر له القرآن الكريم تشخيصاً أو هوية .. كان يخفي إيمانه بالله سبحانه و تعالى ، سابقاً ، و ربما بدعوة موسى لاحقاً ، عن فرعون و قومه ، خشية التعرّض له أو قتله .. و قد ورد ذكره في القرآن الكريم ، مع موسى الرسول ، كما هو شأن أمثاله ، مرة واحدة فقط ، و ذلك من سياق الآيات التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا موسى بآياتنا و سلطان مبين (*) إلى فرعون و هامان و قارون فقالوا ساحر كذاب (*) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه و استحيوا نساءهم و ما كيد الكافرين إلا في ضلال (*) و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (*) و قال موسى إني عذت بربي و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (*) و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم و إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (*) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد (*) و قال

الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (*) مثل دأب قوم نوح وعاد و ثمود والذين من بعدهم و ما الله يريد ظلماً للعباد (*) و يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (*) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم و من يضلل الله فما له من هاد (*) و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (*) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله و عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (*) و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب (*) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى و إني لأظنه كاذباً و كذلك زُيّن لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل و ما كيد فرعون إلا في تباب (*) و قال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (*) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هي دار القرار (*) من عمل سيئةً فلا يجزى إلا مثلها و من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزَقون فيها بغير حساب (*) و يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة و تدعونني إلى النار (*) تدعونني لأكفر بالله و أشرك به ما ليس لي به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (*) لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا و لا في الآخرة وأن مردنا إلى الله و أن المسرفين هم أصحاب النار (*) فستذكرون ما أقول لكم و أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (*) فوقاه الله سيئات ما مكروا و حاق بآل فرعون سوء العذاب } .

إن ما يتضح لنا من قراءة في سابق الآيات ، أن هنالك رجل من قوم فرعون و آله كان يخفي إيمانه الذي كان مِن المرجح أنه كان سابقاً لمجيء موسى ، و ليس حين موسى .. و ذلك ما يتضح من كلام الرجل عن يوسف النبي .. و ما يمكن لَحظَه من الآيات هو التالي ..

١) – نلاحظ أن مؤمن آل فرعون ، هو شخص كان مع النبي موسى الرسول و أنه جادل فرعون بشأن موسى مع أنه كان يكتم إيمانه و لا يُظهِره .. و ليس له أي قوة أو سند يحمي به نفسه كما هو حال موسى الذي ناداه الله سبحانه و تعالى ، من الوادي المقدس طوى و قال له إنه الله سبحانه و تعالى .. مميزاً له بتلك المكرمة الكبيرة العظيمة عن سائر الأنبياء و الرسل ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين } .

و طلب منه الذهاب إلى فرعون .. و مع ذلك ، احتج موسى أو تَذَرَّع بداية الأمر بأنه خائف من أن يقتله فرعون و قومه .. بينما مؤمن آل فرعون لم يكن معه أحد بحسب رواية القرآن أو ظاهر الأمر ، و مع ذلك تَطّح لمواجهه فرعون و ملأه ، دعماً لموسى في دعواه إلى الله سبحانه و تعالى ، من دون خوف من فرعون و

بطشه ، و هو عارف عالم بالمصير السيء الذي من الممكن أن يلاقيه .

٢) – إن موسى قد طلب أيضاً من الله سبحانه و تعالى ، أن يغير في بعض الصفات الجسدية و العقلية فيه .. و طلب الاستعانة بأخيه هارون لكي يكون له داعماً و وزيراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال رب اشرح لي صدري (*) و يسر لي أمري (*) و احلل عقدةً من لساني (*) يفقهوا قولي (*) و اجعل لي وزيراً من أهلي (*) هارون أخي (*) اشدد به أزري (*) و أشركه في أمري } .

بينما مؤمن آل فرعون لم يطلب أي عون و لم يطلب تغيراً في قواه العقلية و الجسدية ، بل كان وحيداً بمفرده يحاجّ و يناقش ، مُعَرِّضاً نفسه للخطر الشديد .

٣) – لقد تَوَجّه موسى إلى فرعون بأمر من الله سبحانه و تعالى ، و معه المعجزات و البراهين و الدلائل .. من الثعبان إلى اليد البيضاء إلى غيرها من آيات مبصرات ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما تلك بيمينك يا موسى (*) قال هي عصاي أتوكأ عليها و أهش بها على غنمي و لي فيها مآرب أخرى (*) قال ألقها يا موسى (*) فألقاها فإذا هي حية تسعى (*) قال خذها و لا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (*) و اضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آيةً أخرى (*) لنريك من آياتنا الكبرى (*) اذهب إلى فرعون إنه طغى } .

بينما مؤمن آل فرعون ، توجه إلى فرعون و ملأه ، بمفرده و من دون براهين أو معجزات ، باستثناء البراهين العقلية المنطقية التي ساقها و قدمها لفرعون و ملأه .. متطوعاً مخاطراً بنفسه ، عارفاً بما قد يجابهه .

و مع ذلك ، و بالرغم من ذلك كله ، فإن القرآن الكريم ، لم يميّز الرجل بتشخيص أو ذكر هوية أو تكرار ذِكر في مواضع سوره .. بل جَيّرَ ذلك كله لموسى .

رجل من أقصى المدينة ..

هو شخص ليس له تشخيص .. ورد ذكره في القرآن الكريم ، مرة واحدة فقط و ضِمْن سياق حادثة غير مسماة أو مُعَرَّفة بالضبط ، حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسَلون (*) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسَلون (*) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و ما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (*) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (*) و ما علينا إلا البلاغ المبين (*) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لَنرجمنكم و لَيمسنكم منا عذاب أليم (*) قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون (*) و جاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين (*) اتبعوا من لا يسألكم أجراً و هم مهتدون (*) و ما لي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون (*) أأتخذ من دونه آلهةً إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً و لا ينقذون (*) إني إذاً لفي ضلال مبين (*) إني آمنت بربكم فاسمعون (*) قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون (*) بما غفر لي ربي و جعلني من المكرمين (*) و ما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء و ما كنا منزلين (*) إن كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون } .

يتحدث سابق الآيات عن قرية أو منطقة غير محددة المعالم و الهوية بالضبط .. يتم إرسال ثلاثة رسل إليها ، و هم أيضاً غير معروفي الهوية .. يأتي هؤلاء بشكل متواتر ، ليدعون أهل تلك القرية أو المنطقة ، إلى عبادة الرحمن رب العالمين ، لكن و على ما يبدو من القرآن الكريم ، فإن ذلك كان عبثاً لا طائل منه ، إذ أن أهل هذه المنطقة قد امتنعوا تماماً عن قبول دعوة هؤلاء الرسل إليهم و رفضوها بالمجمل و المطلق ، لا بل أنهم قاموا بتهديد هؤلاء الرسل بالعذاب الشديد و الموت .

هنا و في هذه اللحظة الحاسمة و الفاصلة ، ينبري رجل من الأطراف و الضواحي البعيدة للمدينة ، و يقوم بالدفاع مرافَعَةً ، عن هؤلاء الرسل أمام أهل مدينته ، و يقدم لهم الحجج المنطقية الداعمة و المؤيدة لكلامهم و دعواهم إلى الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، و يثبت لهم أن ما يعبدونه من دون الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، ما هو إلا ضلال في ضلال و من ضلال .. و تبعاً لذلك ، فقد كان ثواب هذا الرجل ، هو الجنة و المغفرة و الإكرام ، من الله سبحانه و تعالى .

و بالنظر في حادثة هذا الرجل ، نرى أنه كان له دوراً كبيراً في دعوة الناس إلى الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له

أو معه في شيء أو من شيء ، و أثراً فَعّالاً في ذلك ، بغض النظر عما إذا كانوا قد اقتنعوا بكلامه أم لا .. و لعلنا نلاحظ أن المساحة التي أعطاه إياها القرآن الكريم في جدال الناس ، كانت أكبر من مساحة كلام الرسل و نقاشهم مع الناس .. و مع ذلك و بالرغم من كلامه و أقواله و إكرام الله سبحانه و تعالى ، له بالجنة و المغفرة و الدرجة الرفيعة .. لم يذكر له القرآن الكريم أي اسم أو يأتِ له بأي تشخيص ، لا هو و لا حتى الرسل و لا حتى المدينة أو الموقع التي جرت فيه الحادثة ، بل ما كان يريده القرآن الكريم منا ، هو استخلاص العِبَر و الحِكَم و معرفة ما يريده الرحمن رب العالمين منا .. ذلك كله بغض النظر عن معرفة الأسماء و التشخيصات و غيرها ، لأشخاص تلك الحادثة الذين نرى لهم خارج القرآن الكريم أسماء و أوصاف و قاعدة بيانات كاملة ، و هو أمر لم يرده الله سبحانه و تعالى ، لنا أبداً .

امرأة فرعون ..

هي شخصية ورد ذكرها في القرآن الكريم بموضعين فقط .. موضع تنهى فيه فرعون و ملأه عن قتل موسى الرضيع ، بعد التقاطه من النهر أو اليم ، من حيث ألقته أمه فيه خوفاً من فرعون و جنوده .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم و لا تخافي و لا تحزني إنا رادوه إليك و جاعلوه من المرسلين (*) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً و حزناً إن فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين (*) و قالت امرأة فرعون قرة عين لي و لك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً و هم لا يشعرون } .

أما الموضع الثاني ، فهو الذي ضرب الله سبحانه و تعالى ، بها المثل للذين آمنوا ، إذ جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة و نجني من فرعون و عمله و نجني من القوم الظالمين } .

إن القرآن الكريم لم يذكر أي اسم أو هوية تعريف (تشخيص) لامرأة فرعون ، من حيث كان من المفترض أن يفعل ، و ذلك بالنسبة للمقام الكبير الذي أعطاها إياه ، من حيث أنه جعلها مثلاً للذين آمنوا .. رجالاً كانوا أم نساء .. و هذه مرتبة كبيرة ربما لم تُعطى لبشر من قبل .. فضلاً عن أنها طلبت من الله سبحانه و تعالى ، النجاة من فرعون و كفره و أعماله ، و طلبت بيتاً في الجنة عند الله سبحانه و تعالى .. يضاف إلى

ذلك أنها كانت السبب في نجاة موسى و إنقاذه من الموت ، مرتين .. مرة من اليم و أهواله ، و مرة من فرعون و أعماله .

لكن و بالرغم من كل ذلك فإن القرآن الكريم ، لم يذكر لها اسماً و لا هوية و لا تشخيصاً .. و لم يأتِ بذكرها سوى في هذين الموضعين .. ذلك كله لأن لا حاجة لنا في معرفة اسم و هوية هذه الشخصية ، بل معرفة ماذا عملت و كيف تصرفت .. معرفة الحكمة من تصرفها هذا ألا و هو الوقوف بوجه الظلم و الكفر ، و معرفة الحق و قول الحق إن لزِم الأمر .. هو أمر شبيه تماماً بحالة مؤمن آل فرعون الذي ذكره القرآن الكريم ، و الذي أرادنا الله سبحانه و تعالى ، أن لا نتعرف على شخصيته بقدر ما نتعرف على عمله و على الحكمة من عمله ألا و هي قول الحق و الوقوف إلى جانب الحق .

لكن و خارج القرآن الكريم ، فإن شخصية امرأة فرعون قد امتلأت تشخيصاً و تعريفاً و إسهاباً و تفصيلاً و شرحاً ، و تم إنشاء سِجلّاً بل سِجلات كاملة لها .. اسمها (قيل آسية بنت مزاحم) .. اسم أبوها و أمها .. ولادتها .. ما كان يصنع أبوها و تصنع أمها .. أخواتها .. عدد أولادها .. أين عاشت و ترعرعت .. طولها .. وزنها .. البيت الذي حصلت عليه في الجنة .. عدد أبوابه و دوره .. مساحته .. نوعية أثاثه .. كذا .. كذا .. كذا .. و ذلك كله لا يلزمنا في شيء و لا يريدنا الله

سبحانه و تعالى ، أن نعلم عنه شيئاً لأن لا حاجة لنا بذلك و لأن ذلك الأمر يفتح علينا باباً للشرك بالله سبحانه و تعالى ، لا قِبَلَ لنا بإغلاقه فيما بعد ، هذا إن لم يقودنا إلى الكفر .

أم موسى و أخته ..

هي والدة موسى الرسول ، و قد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في أكثر من موضع ، منها ما جاء بصفة شرح لما قامت به لإنقاذ طفلها ، و منها ما جاء في كلام الله سبحانه و تعالى ، عنها مباشرة .. و في ذلك شرف رفيع لها ، من حيث جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم و لا تخافي و لا تحزني إنا رادوه إليك و جاعلوه من المرسلين (*) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً و حزناً إن فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين (*) و قالت امرأة فرعون قرة عين لي و لك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً و هم لا يشعرون (*) و أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (*) و قالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب و هم

لا يشعرون (*) و حرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم و هم له ناصحون (*) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها و لا تحزن و لتعلم أن وعد الله حق و لكن أكثرهم لا يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال قد أوتيت سؤلك يا موسى (*) و لقد منا عليك مرةً أخرى (*) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (*) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي و عدو له و ألقيت عليك محبةً مني و لتصنع على عيني (*) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها و لا تحزن } .

لكن و بالرغم من ذلك كله ، و بالرغم من المقام الرفيع الذي أعطاه الله سبحانه و تعالى ، إلى أم موسى بأن أوحى إليها كيفية إنقاذ ولدها موسى ثم أرجع موسى إليها إكراماً لها ثم ذكرها لموسى نفسه .. إلا أن القرآن الكريم لم يذكر لها أي مسمى أو هوية (تشخيص) و لم يذكر لها أية صفات تشخيصية أخرى و لا سيرة حياتها و لا أعمالها و لا حتى زوجها أو بعلها الذي هو والد موسى .. القرآن الكريم لم يذكر حتى من هو والد موسى .

إن ما ينطبق على أم موسى مما سبق من قول ، ينسحب أيضاً على أخت موسى بوجه من الوجوه ، فهي مذكورة في الآيات القرآنية كما ذُكِرت أم

موسى ، و لها ربما نفس مقام التكريم إذ ذكرها الله سبحانه و تعالى ، لكن ليس لها أي تشخيص آخر غير صفة قرابتها من موسى الرسول و ما قامت به من عمل .

على أنه إذا نظرنا خارج نطاق القرآن الكريم ، لرأينا العجب من السيرة الذاتية التي تحملها كل من أم موسى و أخته .

أهل موسى و حموه ..

هم زوجه و أبناؤه يضاف إليهم حَموه (والد زوجته) حين كان في مدين ، و قد جاء ذكرهم في القرآن الكريم على النحو التالي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (*) و لما ورد ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون و وجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء و أبونا شيخ كبير (*) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (*) فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه و قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (*) قالت إحداهما يا أبت استأجره

إن خير من استأجرت القوي الأمين (*) قال إني أريد أن أُنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك و ما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (*) قال ذلك بيني و بينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي و الله على ما نقول وكيل } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما قضى موسى الأجل و سار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (*) فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هل أتاك حديث موسى (*) إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدًى (*) فلما أتاها نودي يا موسى (*) إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوًى (*) و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى (*) إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكري } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون (*) فلما جاءها نودي أن بورك من في النار و من حولها و سبحان الله رب العالمين (*) يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم } .

تورد الآيات السابقة ، سيرة أهل موسى ، على فترتين ..

الفترة الأولى .. و هي التي توجه فيها إلى مدين و قضى فيها سنواته المذكورة ، و تشمل تلك الفترة زوجته و أبناءه و حماه .. و تُظهِر تلك الفترة جانباً كبيراً من أهمية دور الفتاتين اللتين ستكون إحداهما زوجة له ، بالإضافة إلى والدهما ، في تغيير حياة موسى و قلبها رأساً على عقب .. كما تبرز أهمية دور هذه العائلة ، في الحوار الذي أجروه بعضهم مع بعض ثم مع موسى .

الفترة الثانية .. و هي الفترة التي توجه فيها موسى إلى مصر ، برفقة زوجته و أبنائه ، من دون والد زوجته ، حيث قابل الله سبحانه و تعالى ، من دون أن يراه ، في الواد المقدس طوى و من دون وجود أسرته في المكان ذاته لكن على مقربة منه .

إن هذه الوقائع و سياق كل منها ، كافٍ لأن يكون على الأقل ، لشخصيات أهل موسى ، تسمية لكل منهم (تشخيصاً) .. ألم يقل حمو موسى له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) ؟؟!! و في ذلك مكانة كبيرة للرجل ، ذلك أن موسى كان قد دعا ربه من قبل أن ينجيه من القوم الظالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين (*) فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين } .

فكان الرجل سبباً و مادةً في استجابة الله سبحانه و تعالى ، لموسى .. فضلاً عن أنه قد آواه و حماه و زوجه من إحدى ابنتيه ، و مع ذلك و بالرغم من ذلك كله ، لم يَذكر له القرآن الكريم أسماً و لم يجعل له تشخيصاً .. ذلك كله لكي لا يكون الرجل مادة للتقديس و التبجيل ، و منعاً من أن يكون أداة للشرك بالرحمن رب العالمين و من ثم ربما ، الكفر به البتة .

لكن الرجل و على ما يبدو ، فقد امتلأت به الكتب و المرويات خارج القرآن الكريم ، و صار مادة للتداول و التشخيص و سِيَرِ الأعلام .

كذا الأمر في حال أسرة موسى ، من زوجه و بنيه ، فقد كانوا معه (من دون حضور) حين التقى مع الله سبحانه و تعالى (حضوراً من دون مشاهدة) .. و مع ذلك لم يجعل لهم القرآن الكريم أي اسم أو أية صفات (تشخيص) و لم يذكر لهم أي دور قاموا به أو أثر ارتبط بهم .. لكنهم و

كما هو حال حمو موسى ، فقد امتلأت بهم سِيَر الأعلام و غيرها من آثار و مرويات دينية .

ملكة سبأ ..

ورد ذكرها مرة واحدة في القرآن الكريم ، و ذلك في حادثة الهدهد مع النبي سليمان .. إذ أخبره الهدهد عن هذه الملكة و أحوال مملكتها ، حيث جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و تَفَقَّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (*) لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين (*) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبإ بنبإ يقين (*) إني وجدت امرأةً تملكهم و أوتيت من كل شيء و لها عرش عظيم (*) وجدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (*) ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات و الأرض و يعلم ما تخفون و ما تعلنون (*) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (*) قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (*) اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (*) قالت يا أيها الملأ إني أُلقيَ إلي كتاب كريم (*) إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم (*) ألا تعلوا علي و أتوني مسلمين

(*) قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون (*) قالوا نحن أولو قوة و أولو بأس شديد و الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (*) قالت إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلةً و كذلك يفعلون (*) و إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (*) فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (*) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها و لنخرجنهم منها أذلةً و هم صاغرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون (*) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو و أوتينا العلم من قبلها و كنا مسلمين (*) و صدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (*) قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجةً و كشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي و أسلمت مع سليمان لله رب العالمين } .

بالنظر في الآيات السابقة ، نرى أن شخصية ملكة سبأ ، هي شخصية هامة جداً للأسباب التالية ..

١) – هي امرأة ملكة و لها عرش و مملكة كبيرين ، و جيش قوي و نظام دولة و مُلك .. إذن فهي ليست شخص عادي .

٢) – كانت صاحبة القرار الأول في المملكة مع أنها كانت امرأة .. و بالتالي فهي لم تكن ملكة بشكل صوري ، بل ملكة بكل معنى الكلمة .

٣) – كانت لها حادثة مطوّلة مع النبي سليمان ، و كانت موازية له من حيث الملك و المقام الدنيوي أو السياسي (إن صحت التسمية) .

٤) – كانت هي و أفراد مملكتها و حاشيتها و جيشها ، من الكفار ، لكنها أسلمت لله سبحانه و تعالى ، بسبب من النبي سليمان بعد أن جاءت لمقابلته .. و بالتالي فهي شخصية تستحق الوقوف عندها .

لكن و مع كل تلك الأسباب الواردة ، فإن القرآن الكريم لم يذكر لها ، اسم أو تاريخ أو نسب ، مع أنه أماط اللثام عن بعض تفاصيل مملكتها و عرشها و نقاشها مع أفراد حاشيتها و قادة جيشها .

أما خارج القرآن الكريم ، فإن هذه المرأة تزخر بها الكتب و السجلات ، و تمخر سيرتها عباب البحر .. اسمها (قيل بلقيس) .. ولادتها .. ترعرعها .. أبوها .. أمها .. أخوتها .. جدها و جدتها .. زوجها .. أبناؤها .. طولها .. عرضها .. ماذا .. كيف .. متى .. لِما .. الخ .

و إن عدنا إلى سيرتها في القرآن الكريم و نظرنا إليها بعين التدبر ، لوجدنا أن كل ما ذُكِر عنها من تشخيص خارج القرآن الكريم ، هو حشو بحشو و لا يفيد و لا يغني و لا يُسمِن من جوع .. و إن سيرتها و توصيفها في القرآن الكريم ، كانا بغاية الإحكام و الدقة الضروريين للخروج بالغاية و الحكمة الإلهية الربانية من إيراد سيرتها و كيفية إيمانها و إسلامها للرحمن رب العالمين .. و هذا بالضبط ما يريده الله سبحانه و تعالى ، منا أن نعرفه ، لِما يلزمنا من هداية و إيمان .

عفريت من الجن
و الذي عنده علم من الكتاب ..

هما شخصيتان وردتا في القرآن الكريم في موضع واحد فقط ، بالتزامن و الارتباط مع حادثة النبي سليمان و ملكة سبأ ، حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (*) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك و إني عليه لقوي أمين (*) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل

ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر و من شكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن ربي غني كريم } .

بالملاحظة في ما سبق من آيات قرآنية ، نقف على الآتي ..

١) – تمتعت كلتا الشخصيتان ، موضع البحث ، بقوى خارقة فوق الطبائع البشرية ، و بشكل كبير جداً .. و بالتالي ، فهما صالحتان بشكل قوي جداً لكي يكونا مادة دسمة للرمزية القدسية الدينية و بالتالي ، الشرك بالله سبحانه و تعالى ، و من ثم الكفر به .

٢) – جاءت كلتا الشخصيتان بعضهما مع بعض في القرآن الكريم و في موضع واحد ، لكن في حيز صغير جداً لا يتجاوز السطرين .. ذلك أن القرآن الكريم قد اختزلهما و اختصرهما بشكل لافت واضح .. لا بل حتى أن سياق حضورهما في القرآن الكريم ، كان سياقاً عارضاً و ليس سياقاً ممتداً .

٣) – لم يذكر القرآن الكريم أية معلومات (تشخيص) عن كلتا الشخصيتين ، بل كل ما ذكره هو قواهما الخارقة للطبيعة البشرية و حتى للقوانين الكونية .

لكن و في خارج نطاق القرآن الكريم ، فإن هاتين الشخصيتين قد استحوذتا على رصيد كبير من التعريف و التشخيص و التوصيف .. يتيح

أن يكون لهما مقدار وافر من الرمزية القدسية التي يتم إشراكها بالرحمن رب العالمين ، و من ثم الكفر به ، و صَرف الناس عن الحكمة و الغاية التي أرادها الله سبحانه و تعالى ، للناس أن يستخرجوها من تلك الحادثة .

و بالعودة إلى سياق القرآن الكريم العارض لهاتين الشخصيتين ، نرى أن سبب حضورهما هو حكمة و غاية إلهية ربانية قد أراد لنا الله سبحانه و تعالى ، أن ندركها و نعرفها .. أجراها على لسان النبي سليمان ، و تتعلق بالشكر لله سبحانه و تعالى ، و هي حكمة عميقة جداً ، ذكرها القرآن الكريم في موضع آخر حين قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن الله غني حميد } .

امرأة عمران ..

هي والدة مريم أم عيسى المسيح ، و قد ورد ذكرها في القرآن الكريم في موضع واحد فقط ، في سورة عمران ، إذ جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم (*) فلما وضعَتها قالت رب إني وضعتها أنثى و الله أعلم بما وضعَت و ليس الذكر كالأنثى و إني سميتها مريم و إني أعيذها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم (*) فتقبلها ربها بقبول حسن و أنبتها نباتاً حسناً و كفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب } .

في الآيات السابقة تظهر لنا امرأة عمران ، كامرأة طاهرة مؤمنة مخلصة الإيمان بالله سبحانه و تعالى ، و قد خاطبت ربها قائلة إنها قامت بتقديم الجنين الذكر الذي في بطنها كَنَذر له ، و خادم في المعبد .. و هي عادة قيل إنها كانت مشتهَرة عند اليهود .

لكن امرأة عمران تكتشف فيما بعد ، عند الولادة أنها وضعت أنثى و ليس ذكر ، فتخاطب الله سبحانه و تعالى ، معتذرة ربما ، و تخبره إنها وضعت أنثى و ليس ذكر و إنها قد سمّتها مريم ، و تدعو الله سبحانه و تعالى ، أن يحميها و ذريتها من الشيطان الرجيم .. فيستجيب الله سبحانه و تعالى ، لها و يقبل منها مريم كنذر له ، و يعهد بها إلى زكريا النبي .

إن في ما سبق من سيرة امرأة عمران ، يدل دلالة واضحة على علو مقام و مرتبة هذه المرأة عند الله سبحانه و تعالى .. لكن و مع ذلك ، فإن القرآن الكريم لم يضع لها تسمية أو تشخيصاً ، علماً أنه قد ذكر زوجها بالاسم (عمران) مع أنه لم يَرِد له أي دور في القرآن الكريم ، و كان من الواضح أن له مقاماً دينياً كبيراً ، و ذلك من الآية القرآنية القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين } .

من الواضح أن الرجل كان له مقاماً رفيعاً يضاهي فيه ربما مقام إبراهيم النبي و آدم .. و مع ذلك لم يُذكَر له أي دور لكن ذُكِر له اسم ، و في ذلك إشارة كبيرة واضحة من القرآن الكريم إلى أنه لا بد من وضع حد لأي شخص ، مهما كان مقامه كبيراً عند الله سبحانه و تعالى ، ذلك كي لا يتم الإشراك به بالله سبحانه و تعالى ، و يكون مادة للضلال و من ثم الكفر .. فمن ذُكِرَ له دور ، لم يُذكَر له اسم .. و من ذُكِرَ له اسم ، لم يُذكَر له دور (خلا الأنبياء و الرسل) .. هذه هي المعادلة القرآنية التي غفل عنها الكثر .

و لا يتضح لنا هذا القول إلا بالنظر في بقية كتب الدين و الأثر من خارج القرآن الكريم لنرى كيف تم إنشاء سجلات ذاتية لعمران و امرأته .

امرأة إبراهيم ..

ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في موضعين ، هما ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (*) فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم و أوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (*) و امرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب (*) قالت يا ويلتى أألد و أنا عجوز و هذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب (*) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (*) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون (*) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (*) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (*) فأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف و بشروه بغلام عليم (*) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها و قالت عجوز عقيم (*) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم } .

لا شك أنه بالنظر في سابق الآيات القرآنية ، نجد أن مقام و مرتبة امرأة إبراهيم ، هو كبير جداً جداً .. فقد جاءت رسل الله سبحانه و تعالى ،

الكرام إلى زوجها و إليها معاً ، و قامت الرسل بزف البشرى لها بأنها ستلد طفلاً اسمه إسحاق ، و من صلبه طفلاً اسمه يعقوب .. و هنا تجب ملاحظة أنه قد تم ذكر أسماء أهل هذه المرأة ، جميعاً إلا هي .. إبراهيم .. أسحق .. يعقوب ، علماً أنها كانت ذات دور أساس و رئيس في حادثة ضيف إبراهيم المكرمين و ذات مقام رفيع ، و مع ذلك لم يضع لها القرآن الكريم أي تشخيص .

على أنه و بالنظر إلى ما هو خارج القرآن الكريم ، نرى أن هذه المرأة معَرَّفة تماماً و بشكل كبير جداً و لها تسلسل عائلي و نسب و اسم (سارة) و قرابة و كل ما يمت إلى التشخيص بصِلة .

نبي من بني إسرائيل ..

هي شخصية ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في موضع واحد فقط ، لم يتكرر ، و جاء ضمن سياق حادثة تنصيب ملك لبني إسرائيل ، إذ جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم ترَ إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كُتِب

عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله و قد أُخرجنا من ديارنا و أبنائنا فلما كُتِب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم و الله عليم بالظالمين (*) و قال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا و نحن أحق بالملك منه و لم يؤتَ سعةً من المال قال إن الله اصطفاه عليكم و زاده بسطةً في العلم و الجسم و الله يؤتي ملكه من يشاء و الله واسع عليم (*) و قال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم و بقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين } .

إن أهمية شخصية و مقام ، نبي بني إسرائيل ، هذا ، هو أنه أولاً معتمد لدى بني إسرائيل من الناحية الدينية و الروحية .. ذلك أنهم طلبوا منه أن يتَوِج عليهم ملكاً أو يطلب من الله سبحانه و تعالى ، أن يبعث عليهم ملكاً منهم .. و ثانياً إن هذا النبي قد اتضح بالفعل أنه ذو علاقة و صلاة مع الله سبحانه و تعالى ، من حيث أنه أخبرهم أن الله سبحانه و تعالى ، قد استجاب لهم بالفعل ، و بعث لهم رجلاً منهم اسمه طالوت لكي يكون ملكاً عليهم .. و عندما استنكر كبار القوم و عليّتهم ، هذا الرجل أن يكون ملكاً عليهم و استصغَروه في أنفسهم معللين ذلك بأسباب من الحسب و النسب و الحالة الاجتماعية و ما إلى ذلك .. أكد لهم النبي أن الله سبحانه و تعالى ، هو من اختاره لهم و أنه أعطاه صفات و ميزات ، تؤهله لأن يكون ملكاً و منها أن تابوت العهد سيأتي على يديه أو بسببه .

بالتدقيق ، يُلاحَظ أن القرآن الكريم قد أخفى هوية نبي بني إسرائيل هذا ، الذي له درجة و صلة و مقام عند الله سبحانه و تعالى ، مع أن القرآن الكريم قد ذكر اسم الملك الذي أرسله الله سبحانه و تعالى ، إلى بني إسرائيل عن طريق هذا النبي ، ألا أنه لم يذكر اسم النبي ، بل ما أشار إليه هو عبارة (نبي لهم) .. ذلك كله منعاً لأي تأويل أو لبس يقودان إلى الشرك بالله سبحانه و تعالى ، و من ثم الكفر به .

بينما يُلاحَظ خارج القرآن الكريم ، وجود سيرة ذاتية كاملة لهذا النبي ، و ما فعل و ما صنع و ما قام به من معجزات و أعمال خارقة و أين مقامه و .. و .. الخ من أعمال و صفات تشركه و تشرك من اعتقَد به ، الله سبحانه و تعالى .

و بالعودة مرة أخرى إلى المبدأ القرآني ، نجد أن القرآن الكريم قد أخفى اسم و هوية من قد يُحتَمَل أن يكون له مجالاً أن يُشرَك به بالله سبحانه و تعالى ، كنبي بني إسرائيل هذا .. و أظهرَ اسم أو تشخيص من المستبعد أن يكون له هذه الإمكانية ، كطالوت الملك الذي انصرف إلى الأمر السياسي و الحربي .

الذي مر على قرية خاوية ..

هو شخص ورد ذكره في القرآن الكريم ، مرة واحدة فقط ، حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أو كالذي مر على قرية و هي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه و انظر إلى حمارك و لنجعلك آيةً للناس و انظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير } .

من خلال التدقيق في الآية السابقة ، يتبين لنا أنها تتحدث عن حكمة و غاية كبيرتين لا علاقة لهما بالأشخاص أبداً ، يريدنا الله سبحانه و تعالى ، أن نعرفهما جيداً و ندرك أبعادهما و نَعِيهما تماماً .. و بمعرفتهما ، لا لزوم بعدها لمعرفة أي اسم شخص أو هوية من كان صاحب الحادثة ، كائناً من كان .. ذلك أن الغاية الأساس من هذه الحادثة ، هي معرفة أن الله سبحانه و تعالى ، هو قادر على كل شيء ، و هو القادر على فعل و عمل أي شيء .. كيف لا ؟؟!! و هو الذي قال عنه القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (*) فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء و إليه تُرجَعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الحمد لله فاطر السماوات و الأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى و ثلاث و رباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير } .

فما حصل في حادثة ذاك الذي مَرّ على هذه القرية الخاوية ، يثبت أن الله سبحانه و تعالى ، قادر على فعل أي شيء يتخيله الإنسان أو يراه مستحيل الحدوث .. من إماتة شخص و حماره مائة سنة أو عام ، ثم إعادة إحيائه و حماره من جديد ، أو إحياء قرية خرِبَة مهجورة و بالتالي لا حاجة هنالك أو داع لمعرفة هوية الشخص الذي تساءل عن قدرات الله سبحانه و تعالى ، في ذلك ، إذ من الممكن أن يكون هذا الشخص إنساناً عادياً ، أو أن يكون نبياً و كافراً أو .. أو .. الخ .

لكننا إذا نظرنا إلى الأدبيات و السِيَر الدينية ، خارج القرآن الكريم ، لرأينا العجب العجاب في تشخيص هذه الشخصية و تفصيل حياتها تفصيلاً شديداً ، إذ اجتمعت الروايات بالمجمل ، على أنها لنبي من بني إسرائيل ، اسمه عُزَير .. و بعض النظر عن صحة هذه الروايات من عدمها (الراجح أنها صحيحة) فإن القرآن الكريم قد اختار أن لا يذكر اسم هذه

الشخصية ، حتى و لو كانت هي الشخصية الحقيقة أو الصحيحة المطابقة لِما ورد في الروايات الدينية الأخرى .. و هو ما يقود إلى التفسير القرآني غير المباشر لهذه القضية ، في موضع آخر منه ، تكلم فيه عن شخصية النبي عُزَير صراحة و شخصية المسيح عيسى ابن مريم ، لكنه بَيّن بشكل أو بآخر ، لِما اخفى اسمه في حادثة القرية الخاوية على عروشها ، إن كان هو المقصود فعلاً بذلك .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالت اليهود عزير ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون (*) اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله و المسيح ابن مريم و ما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (*) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون } .

هذه الآيات ، توضح كل شيء ، و تبين ربما ، كل محتويات هذا الكتاب و لماذا امتنع القرآن الكريم عن الأشخاص بشكل عام ، و عن التشخيص بشكل خاص .. هذه الآيات تختصر ربما كل ما قد قيل في هذا الكتاب ، و تشرح لماذا الأشخاص و التشخيص خارج القرآن الكريم ، و لماذا يتم التركيز عليها و التشديد على تشخيصهم .

إن إلقاء نظرة فاحصة متدبرة على القرآن الكريم و مراجعة آياته بمجملها ، تقودنا إلى أن القرآن الكريم قد ابتعد بشكل غالب و ليس تام ، عن الأشخاص و التشخيص .. و أن القرآن الكريم لم يلجأ إلى قضية تسمية الأشخاص و تشخيصهم و تحديد هوياتهم ، كما فعلت بقية الكتب الدينية الأخرى التي تناولت الأشخاص بشيء من التفصيل ، و اعتنت بإبراز و ذكر هوياتهم و حتى ذكر القرابة بينهم وبين شخصيات أخرى و كيفية حياتهم اليومية و الاجتماعية و الأسروية ، و تعاملهم الفردي الشخصي مع الوسط الاجتماعي المحيط بهم .. في حين أن القرآن الكريم قد ابتعد تماماً عن هذا المنهج و لم يعتمده أبداً إلا في حالات ظرفية قليلة و محددة .. و غالباً ما تجنّب القرآن الكريم تكرار مواضع الأشخاص غير المشَخَّصين في متنه .. ذلك أن القضية الكبرى الأهم ، هي ما يريده الله سبحانه و تعالى من العباد أن يَعلَموه و يدركوه ، من الغاية أو الحكمة من تصرف أو قول هذا الشخص .. ألم يَرِد في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكروا نعمة الله عليكم و ما أنزل عليكم من الكتاب و الحكمة يعظكم به و اتقوا الله و اعلموا أن الله بكل شيء عليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ربنا و ابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم } .

إن الحكمة في القرآن الكريم تقتضي أن لا نبحث عن هوية الشخص بقدر ما نبحث عن أفعاله و أقواله .. ماذا فعل و لماذا ؟؟!! كيف و لماذا تَصَرّف هكذا ؟؟!! و ما هي العبرة التي يريدنا الله سبحانه و تعالى أن نصل اليها من ذلك ؟؟!! .

أن سيرة و قصص بعض الأنبياء في بقية الكتب الدينية التي هي غير القرآن الكريم ، نراها مفصَّلَة تفصيلاً بشكل كبير ملفت للنظر ، و تهتم كثيراً بالأسماء و المسميات و الهويات (التشخيص) و هو ما يقود قارئ هذه الكتب إلى الاهتمام بالشخص نفسه أو شخصيته نفسها ، على حساب الالتفاف إلى أقواله و أعماله ، ما يضفي عليه شيئاً من القداسة لاحقاً ، و من ثم ، الإشراك بالله سبحانه و تعالى ، و ربما الكفر به بَتّةً .

إن القرآن الكريم يبرز لنا قضية تصرّف و عمل و فعل هذا الشخص ، على حساب هويته و شخصه ، حتى أن القرآن الكريم يُظهِر هذه القضية بشكل لافت للنظر عندما يورِد عبارات مثل .. عبد من عبادنا .. رجل

من آل فرعون .. امرأه فرعون .. أم فلان .. ابنيّ فلان .. غلام .. أبواه .. غلامين يتيمين في المدينة .. كان أبوهما صالحاً .. الخ .

أي أن القضية هنا هي قضية أشخاص لا على التعيين .. ليس ذلك فقط بل حتى أن التوصيف العام لشخص ما ، و تسميته من خلال الصفات ، ربما يكون قد اتخذه القرآن الكريم ، للتعريف بسياق الحادثة التي كان هو فيها .. أين حصلت ؟؟ و كيف تمت ؟؟ و لِما تمت ؟؟ فمثلاً عِبارتا .. رجل من آل فرعون .. امرأة فرعون .. تجعلانا نفهم أن القضية هي قضية متعلقة بموسى و فرعون و أنها مرتبطة بموضوع رسالة موسى إلى فرعون .. أي أن القرآن الكريم يريدنا أن نعيش واقع الحدث و من ثم أن نلتفت بالكلية إلى كلام و أعمال و تصرفات هذا الشخص و من ثم نستخرج و نستخلص الحكمة و العبرة من ذلك .

في الواقع إذا عدنا إلى خطابات و متون عبادات الأشخاص ، لرأينا أن التشخيص في هذه العبادات قائم بشكل رهيب جداً حتى لَيكاد أن يكون هو أساس هذه العبادات بالكلية و اللزوم .. إذن ، فإن الله سبحانه و تعالى ، و من خلال القرآن الكريم ، لا يريدنا أن نعلم أو نعرف عن هذا الشخص أو ذاك ، معلومات أخرى عنهم .. إذ يلاحَظ في القرآن الكريم ، أن هؤلاء الأشخاص ليس فقط لم يُذكَر اسمهم ، بل لم تُذكَر أية معلومات أخرى عنهم .. لا ولادتهم .. لا حياتهم .. لا أقرباءهم و لا أنسباءهم و

لا كذا و كذا .. فقط حادثة كانوا فيها أرادنا الله سبحانه و تعالى أن نعرف فقط ماذا قالوا و ماذا فعلوا .. فإن كان الله سبحانه و تعالى لا يريد لنا ذلك ، أفنشَخِّصهم نحن تشخيصاً و نختلق لهم أسماء و نجعل لهم هويات و نجعل لهم نَسَباً و صهراً و آثاراً و قدرات و تأثيرات خارقة ما أنزل الله بها من سلطان ؟؟!! .

عصمة الأشخاص

العصمة هي اسم مشتق من فعل (عصم) و يعني في وجوهه .. المنع و الحماية ، و يعني أيضاً الاحتماء بشيء من شيء ، أو الالتجاء له لمنع شيء عنه .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمةً و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً } .
أي من هو هذا الذي يحميكم من الله سبحانه و تعالى ، و يدرأ غضبه و عقابه عنكم ، أو يمنعه أن ينزل رحمته بكم .. فالعصمة هنا جاءت بمعنى الحجز و المنع أو الفصل ، أكثر منها الحماية .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين } .
جاءت العصمة هنا بمعنى الحماية و الصد عن .. أي أن الله سبحانه و تعالى ، قد طلب من الرسول الكريم أن لا يهاب الناس في إيصال رسالة

القرآن الكريم إليهم ، و أنه قد تعَهّد له بالحماية منهم و منعهم عنه ، حال تعَرّضهم له .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم و حال بينهما الموج فكان من المغرَقين } . جاءت العصمة هنا بمعنى الحماية و الحجز عن .. إذ برّر ابن نوح له ، أن الجبل المرتفع العالي ، سيحميه من الماء الفائض على وجه الأرض ، إذ لم يسبق من قبل ، أن طاف ماء على سفح جبل .. لكن نوح الرسول أخبر ابنه أن الأمر لا علاقة له بحالة طبيعية مناخية أو فيزيائية بل إن الأمر هنا مرتبط بأمر الله سبحانه و تعالى ، حيث لا مجال لرده أو منعه من أي كائن آخر .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالت فذلكن الذي لمتنني فيه و لقد راودته عن نفسه فاستعصم و لئن لم يفعل ما آمره ليُسجَنن و ليكونن من الصاغرين } . تتحدث الآية السابقة عن قصة يوسف النبي و ما جرى بينه و بين امرأة العزيز ، من حيث أنه عندما راودته المرأة عن نفسه امتنع نهاية الأمر بعد أن رأى برهان ربه ، حسب ما جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و راودته التي هو في بيتها عن نفسه و غلقت الأبواب و قالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح

الظالمون (*) و لقد همت به و هَمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء إنه من عبادنا المخلصين } .

فيوسف النبي قد استعاذ بالله سبحانه و تعالى ، بداية الأمر ، لكنه و مع ذلك ، قد هَمّ بامرأة العزيز ، أي أنه حتى هذه اللحظة لم يستعصم أو يكن معصوماً ، مع أنه قد استعاذ بالله سبحانه و تعالى .. لكن ما أن رأى برهان الرحمن رب العالمين ، حتى كان قد عُصِم ، فرفض و أبى .. لكن امرأة العزيز التي لم تكن تؤمن بالرحمن رب العالمين ، و لم تنالها عصمة منه ، لم تكن لِتدرك هذه الحقيقة الإلهية الربانية بل ظنت أن يوسف هو من تمنَّع آخر الأمر بعد أن قَبِلَ في بدايته .. و لذلك آثرَت عقابه في وقت لاحق و قامت بتنفيذ هذا الأمر ، بسجنه .

من كل ما سبق من آيات قرآنية ، نخلُص إلى أمور عدة ، و هي ..

١) – إن العصمة بكل معاني وجوهها الصحيحة ، تعني الحماية و المَنعة ، و تتعلق بأمور مادية و لا علاقة لها أبداً بأمور ذهنية أو علمية أو فكرية أو نفسية .. أي لا علاقة لها بالنسيان مثلاً أو الخطأ أو الزلل أو الشهوات ، بل بالأذى و الضرر أو الإكراه .. فالشخص المعصوم ، هو شخص محمي مُصان من أذى الناس و تعَرّضَهم له أو أذى الطبيعة أو حيوان مفترس مثلاً أو مرض أو ما

إلى ذلك ، لكنه غير معصوم من الخطأ أو الزلل أو النسيان أو ما شابه .. فالنبي يوسف الذي عصمه الله سبحانه و تعالى ، من الفاحشة ، لم يعصمه من الخطأ أو النسيان أو الزلل في مواطن معينة ، و إلا لما كان من البداية قد هَمَّ بامرأة العزيز . و لَما طلب من الله سبحانه و تعالى ، أن يدخله السجن لأنه سيصبو إلى نساء المدينة و لن يحتمل إغراءهن ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه و إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن و أكن من الجاهلين (*) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم } .

و قوله إنه ترك ملة القوم الذين كان يخدمهم في مصر ، هو دليل على أنه غير معصوم من الخطأ أو الزلل أو حتى أذى الناس ، سواء أكان مجبراً أم لا ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون (*) و اتبعت ملة آبائي إبراهيم و إسحاق و يعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا و على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون } .

و هو الذي قال إنه لا يبرئ نفسه من مواطن الخلل و الزلل ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم } .

٢) – العصمة ليست صفة أو ميزة بشرية في أساسها .. بل هي صفة إلهية ربانية ، يعطيها الله سبحانه و تعالى ، لمن يشاء من عباده كي يحميه من أذى الناس أو ضررهم حصراً ، و ذلك حُكماً حال القيام بمهمة أو بوظيفة معينة يكون مكلَّفاً بها من قِبَل الله سبحانه و تعالى ، و ذلك كحال الرسول الكريم محمد ، حين قيل له ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الرسول بلغ ما أُنزِلَ إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين } .

أو حال الرسول الكريم عيسى ابن مريم ، حين قال له الله سبحانه و تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و مكروا ومكر الله والله خير الماكرين (*) إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك و رافعك إلي و مطهرك من الذين كفروا } .

أو كما أخبر الله سبحانه و تعالى ، موسى و أخاه هارون ، إنه عاصم لهما من فرعون ، عندما عبّرا عن خشيتهما منه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (*) قال لا تخافا إنني معكما أسمع و أرى (*) فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل و لا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى } .

إذن .. فالعصمة لا تعطى هكذا جزافاً أو إكراماً و كرامة أو منةً و تفضيلاً ، بل هي سبب من أسباب حماية الله سبحانه و تعالى ، لأنبيائه و رسله حال خطر معين يتهددهم ، و حال القيام بمهمة آمِرهم بها الله سبحانه و تعالى حصراً ، و ذلك لكي يطمأنوا على أنفسهم ، و ليس منعهم من خطأ أو زلل ما .

٣) – العصمة التي يعطيها الله سبحانه و تعالى ، لبعض أنبيائه أو رسله ، هي ليس عاصمة لهم من خطأ أو زلل ، بل هي لا علاقة لها بذلك أبداً .. و معظم الأنبياء و الرسل الذين أُعطوا العصمة من الله سبحانه و تعالى ، وقعوا في بعض أخطاء و زلات غير مقصودة حتماً ، و هو ما تكلم عنه القرآن الكريم ، و ما سنتناوله في الفقرة التالية .

قلنا أن القرآن الكريم ، قد أورد أن العصمة الممنوحة للأنبياء و الرسل ، هي فقط للحماية المادية و المنع من الأذى أو الضرر الماديان ، و لم يَرِد أن الله سبحانه و تعالى ، قد جعلها لمنع الزلل و الأخطاء أو الهفوات الذهنية كالنسيان أو السهو مثلاً .. أو لمنع الشهوات المادية و غيرها .

و كما تجنب القرآن الكريم قضية الأشخاص و التشخيص ، منعاً للشرك بالرحمن رب العالمين ، و منعاً للضلال عن شرعه و أحكامه الحق .. كذلك فعل في قضية العصمة ، من حيث أنه تجَنَبَ إعطاء أية عصمة للأنبياء و الرسل ، من الخطأ أو الزلل أو الشهوات و غيرها ، لا بل على العكس تماماً ، أبرز القرآن الكريم ، الكثير من الزلات و الهفوات أو الأخطاء غير المقصودة للأنبياء و الرسل ، حتى أولئك الذين أعطاهم الله سبحانه و تعالى ، العصمة المادية ، و من هؤلاء ..

آدم أبو البشر ..

هو أبو البشر و أول الخلق البشري الإنساني ، و قد كرمه الله سبحانه و تعالى ، بأن كان أول من دخل الجنة و زوجه ، و أن طلب الله سبحانه و تعالى من الملائكة ، السجود له و أن علمه الأسماء و طلب منه إخبار الملائكة بأسمائهم و اصطفاه على العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (*) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (*) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون (*) و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى و استكبر و كان من الكافرين (*) و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغداً حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين } .

لكن آدم و بالرغم من ذلك كله ، لم يكن معصوماً من الخطأ و المعصية ، فقد أكل من الشجرة التي نهاه الله سبحانه و تعالى ، عن الأكل منها ، و أخبره أن الشيطان هو عدو له ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزماً (*) و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى (*) فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (*) إن لك ألا تجوع فيها و لا تعرى (*) و أنك لا تظمأ فيها و لا

تضحى (*) فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى (*) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و عصى آدم ربه فغوى } .

فكان أن أخرجه الله سبحانه و تعالى ، و زوجه من الجنة و أهبطهما إلى الأرض .

نوح الرسول ..

هو أول رسول ذَكره القرآن الكريم ، أُرسِلَ إلى البشر .. و قد أكرمه الله سبحانه و تعالى ، أن أعطاه عمراً مديداً و اصطفاه على العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان و هم ظالمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين } .

لكن نوح الرسول ، و بالرغم من كل ما تمتع به من نِعَمٍ إلهية ربانية ، إلا أنه لم يكون معصوماً كون امرأته كانت من الكافرين و كونها خائنة له و أن

له ابناً كافراً و عملاً غير صالح و ليس من أهله .. كما لم يكن معصوماً من الجهل لولا وعظ الله سبحانه و تعالى ، له ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و نادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي و إن وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين (*) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين } .

إبراهيم الخليل ..

هو أول المسلمين في القرآن الكريم ، للرحمن رب العالمين ، و هو الذي اتخذه الله سبحانه و تعالى ، خليلاً للناس و آتاه الصحف الأولى هدىً للناس ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن هذا لفي الصحف الأولى (*) صحف إبراهيم و موسى } .

و جعله صِدّيقاً نبياً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً } .

و هو الذي أراه الله سبحانه و تعالى ، ملكوت السماوات و الأرض ليكون من الموقنين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين } .

و هو الذي جعل اللهُ سبحانه و تعالى ، مِلّته ديناً قيماً للناس و الأنبياء و الرسل من بعده ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين } .

و هو الذي جعله الله سبحانه و تعالى ، أمة لوحده ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً و لم يك من المشركين } .

و هو الذي شَرّفه الله سبحانه و تعالى ، و ابنه إسماعيل بأن جعله يرفع بيت الله الحرام ، الكعبة و أسماه مقام إبراهيم ، و جعله أماناً لمن دخله و محجة للناس ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم } .
بسم الله الرحمن الرحيم { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً و هدىً للعالمين (*) فيه آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمناً و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً و من كفر فإن الله غني عن العالمين } .

و هو الذي جعله الله سبحانه و تعالى ، إماماً للناس ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين } .

و هو الذي عصمه الله سبحانه و تعالى ، عندما أراد ملأ الكفر من قومه حرقه ، فمنع النار أن تأكله حراً أو تضره برداً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا حرقوه و انصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (*) قلنا يا نار كوني برداً و سلاماً على إبراهيم } .

و لكن .. و لكن .. بعد كل ذلك و بالرغم من كل ذلك ، لم يعصم الله سبحانه و تعالى ، إبراهيم من خطأ ما أو زلل معين ، هنا أو هناك .. أو طلب حاجة من حوائج النفس البشرية من طعام أو شراب أو شفاء من مرض و نحوه .. فها هو إبراهيم يطلب من الله سبحانه و تعالى ، أن يغفر له خطاياه ، يوم الدين و الحساب ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (*) أنتم و آباؤكم الأقدمون (*) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (*) الذي خلقني فهو يهدين (*) و الذي هو يطعمني و يسقين (*) و إذا مرضت فهو يشفين (*) و الذي يميتني ثم يحيين (*) و الذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين } .

فأية عصمة هذه ، في الحاجة لكل تلك الأشياء ؟؟!! .

يوسف النبي ..

منحه الله سبحانه و تعالى ، عصمة مؤقتة ، من الوقوع في فاحشة الزنا مع امرأة العزيز ، بعد أن هَمّت هي به و هَمّ هو بها .. و ذلك من حيث أن الله سبحانه و تعالى ، قد أراه برهان معين ، منعه من الوقوع فريسة ارتكاب الفاحشة .. و لولا ذلك لكان قد وقع في المعصية .

لقد اعترف يوسف النبي أكثر من مرة أنه غير معصوم من الخطأ أو الوقوع فريسة الشهوات ، من حيث جاء في القرآن الكريم ..
بسم الله الرحمن الرحيم { و راودته التي هو في بيتها عن نفسه و غلقت الأبواب و قالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (*) و لقد همت به و هَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء إنه من عبادنا المخلصين } .
توضح الآيتان السابقتان ، أن النبي يوسف قد امتلك الشجاعة و رباطة الجأش الكافيتان ، و حُسْن الخُلُق للتمنع عن امرأة العزيز ، لكن اتضح فيما بعد أنه غير قادر على مواجهة مُرَكّب الشهوة الجنسية الموجود في

الطبع و الفطرة البشريتين و لا امتلاك العصمة الكافية لعدم الانجرار و الانقياد له ، فكان أن تداركه الله سبحانه و تعالى ، ببرهان خارجي عصمه من الوقوع في هاوية الشهوة الجنسية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين (*) فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن و أعتدت لهن متكأً و آتت كل واحدة منهن سكيناً و قالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه و قطعن أيديهن و قلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم (*) قالت فذلكن الذي لمتنني فيه و لقد راودته عن نفسه فاستعصم و لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و ليكونن من الصاغرين (*) قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه و إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن و أكن من الجاهلين (*) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم } .

في سابق الآيات ، يبرز لنا مشهد يبين أن يوسف هذه المرة لم يتعرض لإغراء و مراودة امرأة واحدة ، بل لإغراء و مراودة نساء عدة .. كما أنه تعَرّض للتهديد في حال لم يستجب للإغراء و ممارسة الرذيلة .. و يوضح لنا المشهد نفسه ، أن يوسف النبي قد يستعصم في بداية الأمر لكنه لا يستطيع مقاومة الضغط النفسي و الشهواني لديه ، و ليس لديه العصمة الكافية لذلك .. و لذلك فهو يضطر أن يلجأ لله سبحانه و تعالى و يستعيذ به من كيد النساء ، معترفاً له أنه لا يمكنه مقاومتهن و أنه من

الممكن أن يكون من الجاهلين ، و أن خيار السجن أفضل عنده من ممارسة الفاحشة .. و توضح الآيات أن الله سبحانه و تعالى ، قد استجاب ليوسف و صرف عنه السوء و الفواحش ، و هذا دليل على أن الرجل غير معصوم نفسياً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و دخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً و قال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين (*) قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون (*) و اتبعت ملة آبائي إبراهيم و إسحاق و يعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا و على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون } .

بعد أن يدخل يوسف النبي ، السجن ، يأتيه فتيان يطلبان منه تفسير منام كل منهما و يقولان له إنهما يريانه من الذين يحسنون أعمالهم و أقوالهم .. فيقول لهما يوسف إنه لديه المعرفة و التنبؤ و إنه قادر على أن يخبرهما بأشياء ستحصل لهما ، قبل حصولها ، و أن هذا مما علّمه إياه الله سبحانه و تعالى .. أي أن الرجل كان بفضل من الله سبحانه و تعالى ، و عون منه ، يمتلك قدرات معرفية خارقة و فوق مستوى البشر ، لكنه في الوقت نفسه يعترف و يقرّ أنه كان خاضع لطقوس و عبادة المصريين الدينية ذات الكفر و الضلال ، و أنه قد ترك هذه العبادة و عاد إلى

الطقوس و العبادة التوحيدية التي كان يقوم بها آباؤه .. إبراهيم و إسحاق و يعقوب ، و أن ذلك أيضاً كان بفضل من الله سبحانه و تعالى ، عليه ، إذ صرف عنه الشرك .

بسم الله الرحمن الرحيم { وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم } .
هو كلام قاله يوسف النبي ، عندما انكشفت حقيقة امرأة العزيز و نسوة المدينة أمام ملك مصر .. و هذا يعني اعتراف منه و إقرار بأنه شخص غير معصوم ، إلا أن يعصمه الرحمن رب العالمين عصمة مادية من أذى الناس ، شرط أمور و واجبات معينة عليه تنفيذها .

موسى الرسول ..

هو موسى الرسول الذي اصطفاه الله سبحانه و تعالى ، على بقية الأنبياء و الخلق ، بأن كلّمه مباشرة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين } .

و هو الذي عصمه الله سبحانه و تعالى ، بناء على طلبه ، و تعّهَد له بالحماية من فرعون و قومه و جنده ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (*) قوم فرعون ألا يتقون (*) قال رب إني أخاف أن يكذبون (*) و يضيق صدري و لا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون (*) و لهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون (*) قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون (*) فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (*) أن أرسل معنا بني إسرائيل } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون (*) و أخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون (*) قال سنشد عضدك بأخيك و نجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما و من اتبعكما الغالبون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فأتبعوهم مشرقين (*) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (*) قال كلا إن معي ربي سيهدين (*) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود

العظيم (*) و أزلفنا ثم الآخرين (*) و أنجينا موسى و من معه أجمعين (*) ثم أغرقنا الآخرين (*) إن في ذلك لآيةً و ما كان أكثرهم مؤمنين (*) و إن ربك لهو العزيز الرحيم } .

كل ما سبق من آيات و غيرها ، تثبت العصمة الإلهية الربانية المادية لموسى الرسول ، من أذى فرعون و قومه و جنوده ، لكنها لم تعصم موسى من الوقوع في أخطاء ، كان بعضها فادحاً (طبعاً هي غير مقصودة) و باعترافه هو نفسه ، ساقها القرآن الكريم إلينا لكي نقف على حقيقة أن الإنسان أياً كان ، فهو معرض للأخطاء و الزلل و الشهوات و غير ذلك ، و أن الكمال هو للرحمن رب العالمين وحده لا شريك له في ذلك ، و أن العصمة لله جميعاً ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لما بلغ أشده و استوى آتيناه حكماً و علماً و كذلك نجزي المحسنين (*) و دخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته و هذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين (*) قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (*) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين (*) فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (*) فلما أن أراد أن

يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض و ما تريد أن تكون من المصلحين } .

يخبر آنف الآيات أن موسى ، بعد أن آتاه الله سبحانه و تعالى ، علماً و حكماً ، قد ارتكب جناية قتل (عن قصد أو غير قصد) و أنه قد أدرك فظاعة ما فعله لدرجة أنه قال إن هذا من عمل الشيطان ، و دعا ربه قائلاً إنه قد ظلم نفسه و طلب الغفران لأجل ذلك ، و تعهّدَ لربه أنه لن يكرر هذه الفعلة أبداً .. لكنه ما أن جاء صباح اليوم التالي حتى كاد أن يكرر نفس فعلته لولا أن صاح به الخصم الجديد محذراً إياه من فعلته و مذكِراً إياه بما فعل البارحة .. فإين العصمة في ذلك ؟؟!! و أية عصمة هذه ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال ألم نربك فينا وليداً و لبثت فينا من عمرك سنين (*) و فعلت فعلتك التي فعلت و أنت من الكافرين (*) قال فعلتها إذاً و أنا من الضالين (*) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً و جعلني من المرسلين } .

هنا يعترف موسى الرسول بفعلته أمام فرعون نفسه ، عندما ذكّره فرعون بجناية القتل التي ارتكبها ، و يقول له إنه ارتكب تلك الجنحة لأنه كان من الضالين ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا و علمناه من لدنا علماً (*) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلِّمتَ رشداً (*) قال إنك لن تستطيع معي صبراً (*) و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً (*) قال ستجدني إن شاء الله صابراً و لا أعصي لك أمراً (*) قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً (*) فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً (*) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً (*) قال لا تؤاخذني بما نسيت و لا ترهقني من أمري عسراً (*) فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً (*) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً (*) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً (*) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً (*) قال هذا فراق بيني و بينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً } .

يقول موسى للعبد الصالح إنه سيكون صابراً معه ، بإذن الله ، فهو قال أنه قد اتكل على الله سبحانه و تعالى ، في ذلك (قال ستجدني إن شاء الله صابراً) و مع ذلك و بالرغم من كل تعهّداته ، فقد وجد نفسه ليس معصوماً من الوقوع في الخلل و الزلل ، قولاً أو صبراً .

و أخيراً ، تبقى هنالك قضية هامة و هي .. إن أحد أوجه العصمة من الناس ، هو أن لا تكون محتاجاً إليهم ، من عِلمٍ و نحوه .. و موسى كان محتاجاً في العلم و الإرشاد ، للعبد الصالح مجهول الهوية .. فكيف تصح عصمته في ذلك ؟؟!! .

داوود النبي ..

نبي الله سبحانه و تعالى ، و قد أتاه الله سبحانه و تعالى ، المُلك و الحكمة و فصل الخطاب ، و آتاه كتاب الزبور و ألان له الحديد و علمه صنع الدروع و سَخَّر له الجبال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فهزموهم بإذن الله و قتل داوود جالوت و آتاه الله الملك و الحكمة و علمه مما يشاء و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذو فضل على العالمين } .
بسم الله الرحمن الرحيم { و سخّرنا مع داوود الجبال يسبحن و الطير و كنا فاعلين (*) و علمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا داوود منا فضلاً يا جبال أوبي معه و الطير و ألنا له الحديد (*) أن اعمل سابغات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ربك أعلم بمن في السماوات و الأرض و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكر عبدنا داوود ذا الأيد إنه أواب (*) إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي و الإشراق (*) و الطير محشورةً كل له أواب (*) و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب } .

لكن داوود ، و بالرغم من كل ذلك ، لم يكن معصوماً تماماً من الخطأ و الزلل ، إذ أرسل له الله سبحانه و تعالى ، خصمين ، يريانه ما فعل و ما ارتكب من أخطاء .. و لمّا أدرك ذلك ، سقط من فوره راكعاً لله سبحانه و تعالى ، طالباً منه المغفرة على ما بدر منه .
بسم الله الرحمن الرحيم { و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (*) إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا إلى سواء الصراط (*) إن هذا أخي له تسع و تسعون نعجةً و لي نعجة واحدة فقال أكفلنيها و عَزَّني في الخطاب (*) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه و إن كثيراً من

الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم و ظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه و خَرَّ راكعاً و أناب (٢٤) فغفرنا له ذلك و إن له عندنا لزلفى و حسن مآب (*) يا داوود إنا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب } .

سليمان النبي ..

هو نبي الله سبحانه و تعالى .. و قد أكرمه الله سبحانه و تعالى ، بأن أعطاه مزايا لم يعطها لنبي غيره .. كالفهم و الحكمة و تسخير الجن و الريح له و معرفة منطق الحيوان و الطير ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و داوود و سليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم و كنا لحكمهم شاهدين (*) ففهمناها سليمان و كلاً آتينا حكماً وعلماً و سخرنا مع داوود الجبال يُسَبّحن و الطير و كنا فاعلين (*) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (*) و لسليمان الريح عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا

فيها و كنا بكل شيء عالمين (*) و من الشياطين من يغوصون له و يعملون عملاً دون ذلك و كنا لهم حافظين } .

لكن و بالرغم من ذلك كله ، لم يكن سليمان معصوماً من الوقوع في الفتنة و السهو و النسيان ، و قد أدرك ذلك بنفسه فاستغفر ربه على ما بدر منه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (*) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (*) ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق و الأعناق (*) و لقد فتنا سليمان و ألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب (*) قال رب اغفر لي و هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (*) فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب (*) و الشياطين كل بناء و غواص (*) و آخرين مقرنين في الأصفاد (*) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (*) و إن له عندنا لزلفى و حسن مآب } .

المسيح عيسى ابن مريم ..

هو كلمة الله سبحانه و تعالى ، خلقه من دون أب ، كما هو آدم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } .

و هو الذي أيده الله سبحانه و تعالى ، بروح القدس ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس } .

و هو الذي جعله الله سبحانه و تعالى ، وجيهاً و من المقربين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا و الآخرة و من المقربين } .

و هو الذي أيده الله سبحانه و تعالى ، بالمعجزات القاهرة ، كشفاء المرضى و إحياء الموتى و تكليم الناس في المهد ، و آتاه الكتاب و الحكمة ..
بسم الله الرحمن الرحيم { و يعلمه الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل (*) و رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله و أبرئ الأكمه و الأبرص و أحيي الموتى بإذن الله و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين } .

لكن الله سبحانه و تعالى ، يُذَكِّر عيس ابن مريم ، أنه هو مالك الفضل عليه و أنه هو الذي أنعم عليه بكل ما فيه من صفات ربانية و ميزات ، بل و عَصَمَه من الناس فمنعهم عنه .. و هنا تبدو العصمة أنها المنع من أذى الناس حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك و على والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد و كهلاً و إذ علمتك الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل و إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني و تبرئ الأكمه و الأبرص بإذني و إذ تخرج الموتى بإذني و إذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (*) و إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي و برسولي قالوا آمنا و اشهد بأننا مسلمون } .

و لا أدَلّ على أن العصمة الإلهية الربانية ، للأنبياء و الرسل ، هي المنع من الناس و أذاهم ، من الآيتان التاليتان ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم و إن الذين اختلفوا فيه لفي

شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً (*) بل رفعه الله إليه و كان الله عزيزاً حكيماً } .

الرسول الكريم محمد ..

هو خاتم الأنبياء و رسول الله سبحانه و تعالى إلى الناس كافة ، و مُبَلِّغ الرسالة القرآنية إلى البشرية أجمع .. و قد وصفه الله سبحانه و تعالى بأنه على قدر كبير من الأخلاق و مكارمها و أن له جزاء كبيراً على ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن لك لأجراً غير ممنون (*) و إنك لعلى خلق عظيم } .

و هو في القرآن الكريم ، العبد الصالح المؤمن بالله سبحانه و تعالى ، و الذي ضُرِبَ به المثل في التوراة و الإنجيل ..
بسم الله الرحمن الرحيم { محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مَثَلهم في التوراة و مَثَلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرةً و أجراً عظيماً } .

و هو الذي فتح له الله سبحانه و تعالى ، فتحاً مبيناً و غفر له ما تَقَدّم من ذنبه و ما تأخر و أيده بنصره ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (*) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطاً مستقيماً (*) و ينصرك الله نصراً عزيزاً } .

و هو الذي وصفة الله سبحانه و تعالى ، بأنه سراجاً منيراً ، و هي صفة عالية كبيرة المقام ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً ونذيراً (*) و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً } .

و أخيراً و ليس آخراً .. هو الذي عصمه الله سبحانه و تعالى ، من الناس و أذاهم ، فكان من المعصومين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين } .

لكن و بالرغم من ذلك كله و بالرغم من العصمة المادية التي أعطاها إياه ، الله سبحانه و تعالى ، فإنه لم يكن ، شأنه شأن بقية الأنبياء و الرسل ، معصوماً من الخطأ غير المقصود أو الزلل ، و مِن شاهِد بعض ذلك في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم يجدك يتيماً فآوى (*) و وجدك ضالاً فهدى (*) و وجدك عائلاً فأغنى } .
تخير الآيات إن رسول الله ، محمد كان قبل البعثة في ضلال ، فهداه الله سبحانه و تعالى ، إلى الحق و جعله رسولاً .. إذاً هو لم يكن معصوماً .. و هذا الأمر مشابه لما سبق ذكره عن موسى الرسول عندما قال لفرعون إنه ارتكب جناية القتل كونه كان ضالاً لكن الله سبحانه و تعالى ، قد هداه و جعله من المرسلين .

بسم الله الرحمن الرحيم { و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان } .
لم يكن الرسول الكريم ، قبل البعثة ، يعرف شيئاً عن شرع الله سبحانه و تعالى ، و لا عن الإيمان به ، فأين العصمة إذن ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و إن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (*) الآن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله و الله مع الصابرين } .

يخبر الله سبحانه و تعالى ، في آنف الآيات إنه قد خفف عن الرسول محمد و من معه ، لأنه عَلِم أن فيهم ضعفاً .. و الضعف ليس من العصمة في شيء .

بسم الله الرحمن الرحيم { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطاً مستقيماً } .

بموجب الآية السابقة ، فإن الرسول كان له ذنوب معينة (طبعاً ليست مقصودة) غفرها الله سبحانه و تعالى ، له .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين إن الله كان عليماً حكيماً } .

النبي الكريم ، مُعَرَّض لأن يُطِع الكافرين و المنافقين ، من حيث لا يدري و لا يعلم ، لولا أن يحذره الله سبحانه و تعالى ، من ذلك .. و هذا ليس من العصمة .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك و الله غفور رحيم } .

النبي الكريم مُعَرَّض (من دون علم أو قصد) أن يحرّم ما أحل الله سبحانه و تعالى ، له ، لولا أن يُحَذّره الله سبحانه و تعالى .. فهو إذن غير معصوم من الخطأ .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره و إذاً لاتخذوك خليلاً (*) و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً (*) إذاً لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً } .

وصل الرسول الكريم إلى حالة كاد فيها أن ينساق وراء الكافرين و المنافقين و يركن إليهم ، من دون أن يعلم ، لولا أن ثبته الله سبحانه و تعالى .. فهو إذن غير معصوم من الخطأ .

أنبياء و رسل آخرون ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب و عذاب } .

النبي أيوب يشكو إلى الله سبحانه و تعالى ، أن الشيطان قد أصابه بالجهد و التعب و العذاب .. فهو إذن غير معصوم .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { وإن يونس لمن المرسلين (*) إذ أبق إلى الفلك المشحون (*) فساهم فكان من المدحضين (*) فالتقمه الحوت و هو مليم (*) فلولا أنه كان من المسبحين (*) للبث في بطنه إلى يوم يبعثون (*) فنبذناه بالعراء و هو سقيم (*) و أنبتنا عليه شجرةً من يقطين } .

يونس الرسول ، هرب من تبليغ رسالة الله سبحانه و تعالى ، إلى قومه ، فعاقبه الله سبحانه و تعالى ، بأن التقمه الحوت ، فاعترَفَ و أقر بذنبه أمام الله سبحانه و تعالى ، مسبحاً إياه ، قائلاً إنه كان ظالماً لنفسه .. فأية عصمة هذه ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم } .

يخاطب القرآن الكريم الرسول الكريم محمد ، قائلاً .. إن مثله كمثل بقية الأنبياء و الرسل ، من حيث أن الشيطان يتعرض لهم و يؤثر في بعض آرائهم ، لكن الله سبحانه و تعالى ، يتداركهم برحمته و يزيل عمل الشيطان ثم يثبت الشريعة الإلهية الربانية .. و هذه الآية بالذات ، ربما تُغني عن بقية

الآيات كلها من حيث نفي العصمة عن الأنبياء و الرسل جميعاً ، لكنّا آثرنا وضع ما تيسر من آيات قرآنية تنفي العصمة عنهم ، للمزيد من التأكيد و التثبيت في ذلك .

لكن لماذا أصَرَّ القرآن الكريم على إبراز قضية نفي العصمة عن الأنبياء و الرسل ، و أظهر ذلك بشكل واضح لا لبس فيه ، مُسقِطاً إياه على معظم إن لم يكن ، كل الأنبياء و الرسل ؟؟!! .

الجواب هو .. إن القرآن الكريم يريد أن يقطع الطريق كلياً على أية محاولة لتقديس الأنبياء أو الرسل و بالتالي ، جعْلَهم مادة للشرك و من ثم الكفر بالرحمن رب العالمين .. تماماً الأمر كما هو الحال مع قضية التشخيص التي منعها عن كثير من الأشخاص .. ذلك أنه عندما لا يكون البشري معصوماً ، فإن إعلانه و تزكيته للناس كشخص مقدس أو معبود ، هما من الصعوبة بمكان ، بخاصة و إن صرنا نعلم في مباحث سابقة من هذا الكتاب ، كيف كان العقل البشري مع تطور الزمن مصحوباً بتطور الوعي و المدارك الذهنية و العقلية ، يأنف من عبادة الحيوان أو الحجر .. من هنا جاء التشخيص للرموز البشرية و غير البشرية في القرآن الكريم ، و اختلاق عصمة لها .. و لذلك و من هنا ، تبرز لدينا المعادلة القرآنية الهامة جداً في هذا المضمار من حيث أنه .. مَن منع عنه القرآن الكريم ، التشخيص ، لم

يمنع عنه العصمة أو يذكر أنه منع عنه العصمة .. و من شخَّصه بالاسم ، منع عنه العصمة و ذكر إنه منع عنه العصمة .

لقد أكد القرآن الكريم على قضية أن الأنبياء و الرسل غير معصومين من الخطأ نهائياً و أنهم يخضعون للتنبيه و التذكير و اللوم البسيط من الله سبحانه و تعالى على أخطائهم هذه .. و منهم من يقر بخطئه و يطلب المغفرة من الله سبحانه و تعالى .. و منهم من يتوب إلى ربه بعد ارتكابه الخطأ .. و منهم من يطلب المغفرة من ربه يوم الحساب على أخطاء لا يدري إن كان هو قد ارتكبها أم لا .. و إن طلب المغفرة من قبل شخص يقوم بالاستغفار ، يعني أن هذا الشخص يعرف أنه قد ارتكب خطأ ما في مكان ما ، ربما يكون غير مقصود .. و معظم الأنبياء في القرآن الكريم ، جاء ذكرهم و هم في حالات الاستغفار .. يطلبون المغفرة و التوبة و السماح من الله سبحانه و تعالى .

خوارق الأشخاص

الخرق لغة ، هو .. الشق أو الثقب في شيء لأجل المرور به و من خلاله ، فيقال مثلاً .. خَرَقَ الحائط أي ثقبه .. خَرَقَ الثوب أي شقّه .

و الاختراق .. هو التخلل في شيء للخروج منه إلى شيء آخر لا ينتمي إليه .. فيقال مثلاً .. اخترق صفوف العدو أي دخلها عنوة لكي يصل نهايتها .. اخترق المجال الجوي أي دخل فيه قوةً ليخرج منه إلى الفضاء الخارجي مثلاً .. اخترق جدار الصوت أي تجاوز قوانين الطبيعة الفيزيائية و تعدّاها ليصير على سرعة أسرع من سرعة الصوت .. و هكذا .

مما سبق و بما سبق ، فإن الاختراق أو الأمور الخارقة ، هي الانتقال من صفات و طبائع و قوانين ، إلى صفات و طبائع و قوانين أخرى تكون عادة ، أعلى و أرفع .. و قد ورد في القرآن الكريم ما يفيد في هذا المعنى ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض و لن تبلغ الجبال طولاً } .

جاء الخرق في الآية السابقة بمعنى الثقب و الدخول ، كما جاء دلالة على الأمر المحال الذي يتطلب قوى كبيرة جداً لا تتوفر للبشر في تلك الفترة ، و ربما في كل الفترات .

بسم الله الرحمن الرحيم { فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً } .
الخرق في آنف الآية ، يعني أيضاً الثقب لكنه هنا جاء في أمر ممكن الحدوث من ناحية القوة البدنية لكنه مستَنكَر الحدوث لجهة الأخلاق و القيم الافتراضية و الطبائع الإنسانية .. فالخرق بشكل عام هو دلالة على أمر غير افتراضي أو اعتيادي ، سواء للطبيعة أو الطبائع البشرية أو حتى الإنسانية أو القوانين العلمية الافتراضية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جعلوا لله شركاء الجن و خلقهم و خرقوا له بنين و بنات بغير علم سبحانه و تعالى عما يصفون } .
أي أن هؤلاء المشركون الكفرة قد اخترقوا العقل و المنطق و الحقائق الإلهية الربانية بأن افترضوا افتراءً و تجنّياً ، وجود أبناء لله سبحانه و تعالى .. فجاء فعل الخرق هنا للدلالة على الافتراء و الكذب المخالف للوجود و الواقع و للقوانين الإلهية الكونية .. أي أنه هنا خرق وهمي لا وجود مادي له .

من هنا و من هذا الجانب ذو الإشارة إلى معنى الخرق .. يأتي المنطلق الأساس لعملية نسب الخوارق للأنبياء و الرسل و بعض البشر .. ذلك كله تمهيداً و بناءً لعملية تقديسهم و بالتالي إشراكهم بالله سبحانه و تعالى ، و من ثم ، الكفر به .. فهي عملية ترابطية تراتبية ، أي أنك لكي تكفر بالله سبحانه و تعالى ، يجب عليك أن تشرك به ، من حيث أن الشرك في القرآن الكريم ، هو نوع من أنواع الكفر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً و مأواهم النار و بئس مثوى الظالمين } .

و لكي تشرك بالله سبحانه و تعالى ، عليك أن تقدّس عباده ليكونوا بمصافّه ، ذلك أن الرحمن رب العالمين ، هو القدوس و هو المُقَدَّس له ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون } .

يلاحَظ في الآية الأخيرة السابقة أن القداسة لله سبحانه و تعالى ، قد جاءت مشفوعة بسبحانيته عما يشركون ، أي أن كل من يُضفي من غير الله سبحانه و تعالى ، على أحد غير الله سبحانه و تعالى ، من هذه الصفات ، فهو قد أشرك بالله سبحانه و تعالى .

و إننا إن ننظر خارج القرآن الكريم ، فيما أُضفيَ و أُسبِغَ على الأنبياء و الرسل و بعض المؤمنين ، من صفتات خارقة للطبيعة البشرية ، فلسوف نرى العجب العجاب ، لا بل سنرى صفات و تصرفات و أفعال خارقة ، لا تُنسَب سوى لله سبحانه و تعالى ، قد نُسِبت لهؤلاء البشر – و العياذ بالله – و أعطتهم صفات فوق بشرية ، بينما هم لا يعدو كونهم مجرد بشر أكرمهم الله سبحانه و تعالى ، عن غيرهم من البشر و مَيّزهم برسالاته التي أرسلها معهم للبشرية .

و من الخرافات التي تنسب إلى الأنبياء و الرسل .. أنهم يطيرون في الهواء مثلاً أو ليس لهم ظل عندما يكونون في رابعة النهار أو أثناء تعرضهم للضوء .. أو لا يأكلون أبداً أو قادرون على معرفه الغيب أو يكلمون الأموات أو يختفون عن الأبصار أو لهم قدرات خارقة لتحريك الأشياء من مكانها و إرجاعها .. أو .. أو .. الخ .. و هذا كله مجانب للصواب و الحقيقة و ليس له من الصحة مكان .. ما عدا المعجزات التي أجراها الله سبحانه و تعالى بإذنه و أمره ، على أيدي البعض منهم .

ليس ذلك فقط ، بل إن بشرية الأنبياء و الرسل هي من صلب العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم .. و هي من الأوامر التي أمر الله سبحانه و تعالى أنبياءه و رسله أن يوصلوها للناس و يخبروهم بأنفسهم صراحة على أنهم بشر مثلهم تماماً ، و ذلك في آيات كثيرة وردت في القرآن الكريم و منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم و لكن الله يمن على من يشاء من عباده و ما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله و على الله فليتوكل المؤمنون } .

توضح الآية إن الرسل يخاطبون أقوامهم صراحة و يقولون لهم إنهم ليسوا إلا مجرد بشر مثلهم تماماً .. فجملة (إن نحن) تعني .. نحن لسنا إلا كذا .. و جملة (بشر مثلكم) هي جملة تأكيدية مانعة لأي لبس و التباس أو تأويل و شك .. فعندما تقول لشخص .. أنا بشر .. فأنت تحصر نفسك في خانة و فئة الجنس البشري لا تتعداه لأي جنس آخر من ملائكة أو جن أو حيوان أو طير و غيره .. لكن عندما تقول له .. أنا بشر مثلك .. فهنا أنت قد أكدت له إنك لا تمتلك أي خاصية أخرى غير الخاصية البشرية ، لأن كلمة (مثلكم) هي إضافة زائدة لا لزوم لها إلا أن تكون للتأكيد .. و يشتد التأكيد و يصير أمره محسوماً قاطعاً حين يقول ذلك الرسول أو النبي نفسه لأن دلالة ذلك بحسب السياق القرآني ، هي أن هنالك من كان يناقش و يجادل الأنبياء و الرسل في هذه القضية ، إن

اعتراضاً أو إيجاباً ، فأمر الله سبحانه و تعالى الرسل بتأكيد بشريتهم بأنفسهم ، للناس .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً } .
الله سبحانه و تعالى يأمر الرسول الكريم محمد بإن يؤكد تأكيداً قاطعاً لمن يسأله .. بأنه بشر مثله لا يختلف عنه بشيء .. و قد جاء ذلك بصيغة السؤال الاستنكاري و هو في اللغة و المنطق تأكيد على نفي الشيء تماماً .. فعبارة (سبحان ربي) هي استنكار تأكيدي للنفي .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربه أحداً } .
دلالة قرآنية شبيهة لحد كبير بالدلالة القرآنية السابقة ، و قد جاءت صيغة تأكيد بشرية الأنبياء و الرسل بأداة (إنما) التي هي في اللغة العربية ، أداة حصر و قصر و نفي كل ما هو خارجها .. و قد جاءت مشفوعة بأداة (إنما) الثانية لتحصر الألوهية بالله سبحانه و تعالى و ذلك للتأكيد على وحدانية الله سبحانه و تعالى و على نفي أي صفات خارقة للأنبياء و الرسل ليأتي ذلك كله مشفوعاً أيضاً بالتوجيه نحو العمل الصالح و عدم الشرك بالله سبحانه و تعالى ، و في ذلك إشارة قوية إلى أن من يعطي الأنبياء و الرسل فوق صفاتهم البشرية فهو قد أشرك بالله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه و استغفروه و ويل للمشركين } .. هو نفس سياق و دلالة الآية السابقة من حيث أن الأنبياء و الرسل هم حصراً بشر ، لهم نفس صفات الجنس البشري لا يزيدون عنها و لا ينقصون .. و كل من يضيف لهم شيء فوق طبيعتهم البشرية يكون مشركاً بالله الواحد الأحد و له الويل و الثبور و عظائم الأمور .

– القضية الثانية التي أوردها القرآن الكريم و التي كانت دليلاً قوياً على الطبيعة البشرية المحض للأنبياء و الرسل ، هي أن أحد أسباب احتجاج الكفار و المشركين على الأنبياء و الرسل و رفضهم الإيمان بدعوتهم و رسالتهم لله الواحد الأحد ، هو أنهم كانوا يرونهم بشراً مثلهم تماماً .. و يجدر تبيان حقيقة منطقية هامة هنا ، و هي أنه عندما يقول الكافر عبارة (بشر مثلنا) أو ما يشابهها فهذا يعني أنه لم ير في هذا النبي أو الرسول أية ميزة إضافية خارج الطبيعة البشرية ، فكيف يكون للأنبياء أو الرسل قوى خارقة أو مزايا خارج أو فوق الطبيعة البشرية ، و الكفار يحتجون عليهم بطبيعتهم البشرية ؟؟!! .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا و ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا } .

تخبر هذه الآية القرآنية أن أحد أهم أسباب رفض كبار الكفر من قوم نوح له و لرسالته ، هو احتجاجهم عليه بأنه بشر مثلهم تماماً و أنهم لم يروا فيه أي شيء خارج الطبيعة البشرية .. ليس ذلك فقط بل إن أتباعه هم أراذل المجتمع و وضعائهم .. و كأنهم هنا كانوا يغمزون من قناته و مكانته .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات و الأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين } .

توضح الآية القرآنية أن رفض الناس الكفرة للرسل الذين أرسلهم الله سبحانه و تعالى ، إليهم ، و إنكارهم لهم ، كان من منطلق نظرتهم إليهم على أنهم بشر مثلهم لا يختلفون عنهم بشيء و لم يروا فيهم أي شيء خارج الطبيعة البشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً (*) قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً } .

هذه الآية توضح تمام الوضوح و التبيان قضية بشرية الأنبياء و الرسل و أنهم لا يتميزون بأية ميزة إضافية عن باقي البشر .. و يوضح الله سبحانه و تعالى أن السبب الذي منع الناس أن يؤمنون بدعوات الأنبياء و رسالات

الرسل هو أنهم لم يروا فيهم شيء خارج الطبية البشرية و أنه لو كان هنالك ملائكة في الأرض عوضاً عن البشر ، لكان الله سبحانه و تعالى ، قد أرسل إليهم ملائكة من جنسهم ، و هذا بحد ذاته ينفي أن يكون للأنبياء و الرسل أية صفة أو ميزة خارج نطاق الطبيعة البشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { لاهيةً قلوبهم و أسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر و أنتم تبصرون } .
تتحدث الآية القرآنية عن إن الكفار الرافضين لدعوة الأنبياء و الرسل ، كانوا يسخرون منهم لكونهم بشر مثلهم لا يزيدون عنهم بشيء بل ربما ينقصون .. و يعتقدون أن كلام هؤلاء الأنبياء أو الرسل كله من باب السحر و هذا كله حصل في اجتماع سري فيما بينهم و هو ما يدل على جدية الأمر و الكلام .

بسم الله الرحمن الرحيم { فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم و لو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (*) إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين } .
في هذه الآية نرى كبار الكفرة لم يروا في نوح الرسول أي شيء خارج نطاق الطبيعة البشرية لا بل إنهم يحذرون قومهم من الرسول نوح لأنهم لم يروا فيه شيء خارج طبيعة البشر لا بل أنهم رأوه شخصاً فيه مس من جنون ، و هذا تأكيد لبشرية الأنبياء و الرسل .. كما أنهم طلبوا أن يرسل

الله لهم ملائكة بدلاً من البشر و هذا أكبر دليل على الطبيعة البشرية لنوح الرسول .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الملأ من قومه الذين كفروا و كذبوا بلقاء الآخرة و أترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما تشربون (*) و لئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون } .
هذه الآية القرآنية تعطي دلالة قوية ثابتة على الطبيعة البشرية للأنبياء و الرسل و أنه لا فرق أبداً بينهم و بين أي بشري آخر من حيث الطبيعة و الجنس .. و يلاحظ هنا تكرار عبارة (بشراً مثلكم) مرتين .. فالكفار هنا احتجوا على من آمن بالرسول الذي جاء إليهم من عند الله سبحانه و تعالى ، بأنه بشراً مثلهم تماماً و يتصرف كما يتصرفون و هو محتاج مثلهم للطعام و الشراب و يأكل كما يأكلون تماماً و إنه لا يختلف عن البشر في شيء .. لا زيادة و لا نقصاناً .

بسم الله الرحمن الرحيم { فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا و قومهما لنا عابدون } .
تخبر الآية القرآنية هنا إن فرعون و ملأه و قومه ، قد اعترضوا على موسى و هارون الرسولان من عند الله سبحانه و تعالى ، لكونهما بشرين مثلهم تماماً .

لا بل أن الكفار و المشركين لم ينظروا فقط إلى الأنبياء و الرسل على أنهم بشر مثلهم .. بل أحياناً كانوا ينظرون إليهم على أنهم بشر أدنى منهم مرتبة و أدنى سوية من الإنسان العادي الطبيعي .. فقد جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون } .
هذا اتهام للرسول الكريم بالجنون و يستحيل أن يصفوه بهذه الصفة لو كان له صفات خارقة فوق بشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون } ..
فرعون يتهم موسى بالجنون .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم أنا خير من هذا الذي هو مهين و لا يكاد يبين (*) فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين } .
فرعون ينظر إلى موسى نظرة دونية و يراه أدنى حتى من مرتبة البشر ، و ذو مرتبة اجتماعية وضيعة و يتحداه بإتيان شيء خارج أو فوق المقدرات البشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أنى لهم الذكرى و قد جاءهم رسول مبين (*) ثم تولوا عنه و قالوا معلم مجنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون } .

آية هامة جداً بخصوص هذه النقطة بالذات ، من حيث توضح هذه الآية أنه لم يأت رسول أو نبي إلى قومه إلا و اتهموه بالجنون .. و هذا لم يكن ليحصل لو لم يروه فيه إلا الصفات البشرية المحض .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا و قالوا مجنون و ازدجر } .. قوم نوح الذي لبث فيهم ألف سنة ، يتهمونه بالجنون و ينبذونه .. و محال أن يفعلوا ذلك لو كان فيه صفات فوق بشرية غير عادية .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا إنما أنت من المسحرين (*) ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا إنما أنت من المسحرين (*) و ما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين } .

تتحدث الآيتان السابقتان عن النبي صالح و النبي شعيب المرسلان إلى قومهما من عند الله سبحانه و تعالى و كيف اعترض عليهما قومهما و

رفضوا الإيمان بهما و اتّباعهما ، من منطلق أنهما بشر مثلهم تماماً لا يفرقان أو يختلفان عنهم بشيء .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (*) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و ما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون } .
تورد هذه الآية القرآنية نقطة هامة جداً و هي أنه مهما بعث الله سبحانه و تعالى من أنبياء و رسل إلى الناس فإن الكفار لن يؤمنوا بهم طالما أنهم يرونهم ضمن طبيعتهم البشرية و لم يروا فيهم شيء آخر أو ميزة أخرى غير الطبيعة البشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذبت ثمود بالنذر (*) فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنّا إذاً لفي ضلال و سعر } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا و تولوا و استغنى الله و الله غني حميد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ثم أدبر و استكبر (*) فقال إن هذا إلا سحر يؤثر (*) إن هذا إلا قول البشر } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين } .

هذا إخبار من الله سبحانه و تعالى بأن الأنبياء و الرسل المبعوثون إلى الناس ، هم بشر مثلهم تماماً لا يختلفون عنهم بشيء و إن ذلك كان مثار دهشة و استغراب و إنكار الناس لذلك .. فهل يوجد أكبر من هكذا دليل و برهان على الطبيعة البشرية المحض للأنبياء و الرسل ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا لولا أنزل عليه ملك و لو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا يُنظرون } .

في هذه الآية القرآنية يستنكر الناس إرسال نبي أو رسول مثلهم تماماً و على هيئتهم و طبيعتهم و خصائصهم البشرية و يطالبون بإرسال ملك بدلاً من البشر .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً } .

تبرز هذه الآية ليس فقط بشرية الأنبياء و الرسل فقط ، بل و استغراب الناس من ذلك و نظرتهم نظرة دونية لهؤلاء الرسل و هذا ما كان ليحصل لو أنه كان هنالك مزايا خارقة و صفات فوق بشرية لهؤلاء الرسل .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً } .

دلالة كبرى واضحة ليس فقط على بشرية الأنبياء و الرسل بل على السخرية منهم و النظرة الدونية لهم و جعلهم من مراتب بشرية اجتماعية دنيا أو كما يقال .. درجة ثانية .. و هذا كان من المستحيل حصوله لو كان هنالك أدنى سمة أو صفة فوق بشرية للأنبياء أو الرسل .

– القضية الأخرى التي أوردها القرآن الكريم ، هي نظرة الله سبحانه و تعالى للأنبياء و الرسل و تعامله معهم على أنهم بشر تماماً لا يتميزون عنهم بشيء و متساوون معهم في الخلق و التكوين البدني و العقلي و فيهم من نواقص النفس البشرية الفيزيولوجية (و ليس النقائص الخُلُقية) كما بقية البشر تماماً .. و نظرتهم هم أيضاً إلى أنفسهم كذلك .. من حيث جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا } .

يخاطب الله سبحانه و تعالى الرسول محمد بأنه لم يكن يعرف شيئاً من العلوم الدينية و القوانين الإلهية الربانية و لم يعرف حتى معنى ذلك أصلاً لا بل و لم يكن يعرف أصلاً ما هو الإيمان لكن الله سبحانه و تعالى أوحى

إليه و أنزل إليه القرآن الحكيم الكريم المجيد فصار يَعرف كل ذلك .. إذن فالرسول هو بشر مثل بقية البشر .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين } .

يخاطب الله سبحانه و تعالى الرسول محمد و يوضح له قضية اشتدت عليه و كاد أن يقع بها في الخطأ ، فيعلمه الله سبحانه و تعالى و يعظه و ينهاه أن يكون من الجاهلين من دون أن يدري .

الفردية الشخصانية

إن مصطلح الفردية أو كلمة (الفرد) جاءت في أساسها لتدل على أشياء أو رموز لها ارتباط و علاقة بالأرقام و الأعداد .. و هي بشكل عام تدل على الانفراد ، لكن بشكل خاص ، تدل على انتفاء الزوج ..

جاء في معجم العين .. جاء القوم فُرَادَى ، و عددت الخرز و الدراهم أَفْرَاداً أي ليست زوجية .

و العدد الفردي .. هو الذي لا زوج فيه و لا مثنى .

على أن مصطلح الفردية ، يدل أيضاً على الاستحواذ و التمَيّز الخاصين ، و كذا على انتفاء المثال .. جاء في (المحيط في اللغة) .. الفَرْد هو ما كان وحده . (انتهى) .

و الفريد هو الذي لا مثال له فيما اختُصَّ به .. يقال .. شيء فريد من نوعه أو شخص فريد من نوعه ، أي له صفات و أمور ليستا موجودتان في غيره .

كذا الأمر فإن التفرد هو الاختصاص بالشيء الذي لا يكون لغير المتفرِّد المستحوذ على ما اختُصَّ به .. و إذن .. فإن مصطلح و كلمة (الفرد) تدل أيضاً على الواحد و ليس فقط العدد المفرد الأكثر من الواحد رقماً .. جاء في معجم كتاب العين .. الفرد ما كان وحده .. يقال فرد .. و أفردته أي جعلته واحداً .

و جاء في معجم المحيط في اللغة .. رجلٌ فُرَدَةٌ أي يذهب وحده ، أي بمفرده .

كذا الأمر أيضاً إن عدنا إلى القرآن الكريم ، لوجدنا أن كلمة (الفرد) قد جاءت لتصب في نفس خانة ما تقَدَّم من تفسير لغوي ، إذ جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد } .

جاءت كلمة فرادى لتدل على الشخص الواحد ، أي بإمكانكم أن تنصروا دين الله سبحانه و تعالى ، إما كمجموعات تساعد بعضها البعض أو كأشخاص فرادى ، كلٌّ يسعى للآخرة بنفسه و بجهده .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم و ضل عنكم ما كنتم تزعمون } .
إي جئتمونا تَترىً .. واحداً واحداً أو فرداً فرداً .

بسم الله الرحمن الرحيم { أفرأيت الذي كفر بآياتنا و قال لأوتين مالاً و ولداً (*) أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً (*) كلا سنكتب ما يقول و نمد له من العذاب مداً (*) و نرثه ما يقول و يأتينا فرداً } .
أي سيأتينا وحيداً بمفرده ليس معه أحد .. و هي إشارة إلى من كانوا يعبدون من دون الله سبحانه و تعالى ، أو مع الله سبحانه و تعالى ، بأنهم لن يكونوا معه و لن يشفعوا له بشيء عند الله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً (*) لقد أحصاهم و عدهم عداً (*) و كلهم آتيه يوم القيامة فرداً } .
أي أن كل شخص أو مخلوق من عباد الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، سيأتي إليه يوم القيامة ، لوحده ليس معه أحد .

بسم الله الرحمن الرحيم { و زكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً و أنت خير الوارثين } .

النبي زكريا يدعو الرحمن ربه أن لا يتركه وحيداً بمفرده ليس له من يرثه ، في الدنيا و الدين .

لكن السؤال الذي قد يطرح نفسه بقوة هنا ، هو .. ما علاقة ذلك بالإشراك بالله سبحانه و تعالى ؟؟!! و هل هنالك من ارتباط بالله سبحانه و تعالى ، الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه ، في شيء أو من شيء ، و بين الفردية كاصطلاح و معنى ؟؟!! .

في الواقع هنالك علاقة وثيقة ذات ارتباط قوي توصيفي ، فيما بين صفات الرحمن رب العالمين و ذاته ، و بين الفردية و التفرد كمصطلح ، و قد أورد القرآن الكريم ذلك في مواضع عدة منه ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أنا منذر و ما من إله إلا الله الواحد القهار (*) رب السماوات و الأرض و ما بينهما العزيز الغفار } .
يعطي آنِف الآيات ، صورة واضحة عن أن الله سبحانه و تعالى ، هو فرد واحد .. كما يعطي صورة أخرى عن التفرّد لله سبحانه و تعالى ، بأنه هو رب السماوات و الأرض و كل ما فيهما .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به و من بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهةً أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد و إنني بريء مما تشركون } .

فعل الأمر (قُلْ) في القرآن الكريم ، هو إشارة إلى جواب عن سؤال يُطرح أو إشكالية و جدال مطروحَين للإجابة ، فيأتي فعل الأمر هذا لحسم الجدال أو القضية المطروحة للنقاش .. و هنا جاء فعل الأمر (قل) للرسول الكريم محمد لكي يحسم الجدل و النقاش ، بأن الله سبحانه و تعالى هو إله واحد ليس معه آلهة أخرى أبداً .. و القضية هنا هي دلالة على الفردية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } .

هما إنذار و بلاغ إلَهّيان ربانيان للناس ، بأن الإله هو إله واحد فقط و اسمه الرحمن و صفته الأساس هي الرحمة .. و الأمر هنا هو دلالة على الفردية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون } .

توضح الآية السابقة ، بلاغ و أمر من الله سبحانه و تعالى نفسه ، بأنه واحد و ليس اثنين .. فلا يوجد إلهان اثنان ، و يطلب من الناس أن يخافوه هو فقط و لا يُشركوا معه في خوفهم منه ، أحد .. دلالة على الفردية و التفَرّد معاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { فآمنوا بالله ورسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و ما في الأرض و كفى بالله وكيلاً } .
نفس معنى و نتيجة الآية السابقة في الدلالة على الفردية الأحدية و التفَرّد معاً .

على أن سورة الإخلاص ، ربما تكون هي الأبلغ في الدلالة على الفردية الأحدية و التفرد في آن معاً ، للرحمن رب العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل هو الله أحد (*) الله الصمد (*) لم يلد و لم يولد (*) و لم يكن له كفواً أحد } .

إن ما سبق من آيات قرآنية ، يعطي بشكل مباشر ، الدلالة على الفردية و التفرد ، لله سبحانه و تعالى .. لكن كذا الأمر ، هنالك آيات قرآنية تعطي الدلالة المباشرة على تفَرّد الرحمن رب العالمين ، بالقدرة و العزة و العلم و الحكمة و ما إلى ذلك ، و منه في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له و خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً (*) يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن و رضي له قولاً (*) يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا

يحيطون به علماً (*) و عنت الوجوه للحي القيوم و قد خاب من حمل ظلماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم يروا إلى الطير مُسَخّرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمةً و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من أصدق من الله قيلاً (*) ليس بأمانيكم و لا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به و لا يجد له من دون الله ولياً و لا نصيراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس ضُرِبَ مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل من يرزقكم من السماء و الأرض أمّن يملك السمع و الأبصار و من يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل من يرزقكم من السماوات و الأرض قل الله و إنا أو إياكم لعلى هدًى أو في ضلال مبين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم (*) ألا إن لله من في السماوات و من في الأرض و ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن و إن هم إلا يخرصون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (*) و لقد أوحي إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين (*) بل الله فاعبد و كن من الشاكرين (*) و ما قدروا الله حق قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يشركون (*) و نُفِخَ في الصور فصعق من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم و جعلنا بينهم موبقاً (*) و رأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها و لم يجدوا عنها مصرفاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { عالم الغيب فلا يُظهِر على غيبه أحداً } .

إذن .. فإن التفرّد هو سمة من سمات الرحمن رب العالمين ، اختص نفسه بها في أمور و أفعال معينة و لم يُعطِها لأحد .. و تبعاً لذلك ، فإن أية عملية نَسَب لهذا التفرد و الخصوصية ، هي للرحمن رب العالمين ، أو بمعنى أكثر دقة و وضوحاً ، الوحدانية في التصرف مع المقدرة في التصرف و القيام بالأفعال ، ما توضحه و تبينه الآيات القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي له ملك السماوات و الأرض و لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و خلق كل شيء فقدره تقديراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و كان عرشه على الماء } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات و الأرض و لم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير } .

هو التفرد الخاص بالرحمن رب العالمين الذي لا يكون مثله لأحد و لا يحتاج فيه لأحد .. هو تفرّد حرّمه الله سبحانه و تعالى ، على غيره و منعه عن غيره .. فأي عملية نسب أو إشراك هذا التفرّد الخاص بالرحمن رب العالمين ، لأحد أو شيء ، هما إذن .. شرك بالرحمن رب العالمين ، شرك لا يقود صاحبه إلا إلى الكفر بالرحمن رب العالمين .. ألم يَرِد في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (*) الحق من ربك فلا تكن من الممترين } .

على أنه لا يتأتّى لنا أن ندرك جوهر هذه القضية ، إلا إن أدركنا كيف تعامل القرآن الكريم مع بقية عباد الرحمن رب العالمين و بالأخص منهم الأنبياء و الرسل ذوي المواد الأكثر قبولاً و قَولَبَةً ، للشرك بالرحمن رب العالمين .. ذلك أن القرآن الكريم قد جعل هؤلاء ، ضمن دائرة الصفات و الطبائع البشرية ، كما بيّنا ذلك في المبحث السابق ، و لم يسمح لهم أبداً بتجاوز هذه الخصائص و الطِباع .

و كما تعامل القرآن الكريم مع الأنبياء و الرسل و بعض الصالحين ، لجهة الخصائص البشرية .. كذا الأمر تعامل معهم لجهة التفرد و الخصوصية الفردية ، من حيث أنه قد أبان و أظهر أن لا إمكانية لهم و لا مجال ، للتفَرّد بشيء . و أنهم شأنهم شأن بقية أقرانهم من البشر ، بحاجة للغير و لا يمكنهم الاستغناء بأنفسهم عن غيرهم .. و هاكُم بعض مما جاء حول هذا الشأن ، في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا و وحينا فإذا جاء أمرنا و فار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين و أهلك إلا من سبق عليه القول منهم و لا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون } .
تدل الآية السابقة ، على أن نوح الرسول ، كان محتاجاً لصنع سفينة إذ ليس له الإمكانية لينجي من اتّبعه من المؤمنين ، بمفرده أو قواه الذاتية .. كما أنه حتى لجهة صنع السفينة ، كان محتاجاً إلى مراقبة و مساعدة الله سبحانه و تعالى ، له في ذلك و إرشاده وحياً ، إذ ليس له أي إمكانات أو قوى خارقة ليصنع سفينة بمفرده .

بسم الله الرحمن الرحيم { ثم أتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً (*) كذلك و قد أحطنا بما لديه خبراً (*) ثم أتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً (*) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و

مأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا و بينهم سداً (*) قال ما مَكّني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردماً (*) آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً (*) فما اسطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً (*) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء و كان وعد ربي حقاً } .

تتحدث الآيات عن ذي القرنين الذي ورَد ذِكره في مبحث سابق من هذا الكتاب .. فهو و بالرغم من كل قواه و ما عنده من جيش و جنود ، إلا أنه كان محتاجاً إلى الأسباب التي أعطاه إياها الله سبحانه و تعالى ، و مكّنَه بها ، فكان يتّبعها و يطبّقها للوصول إلى مبتغاه .. ذلك أنه لم تكن لديه قوى خارقة ذاتية تنبع منه .. و حتى عندما أراد بناء السد ، فإنه استعان بالقوم الذين استعانوا به و استنجدوه من قوم يأجوج و مأجوج .. فالأمر برمته كان خاضعاً للقانون الإلهي الرباني من حيث فرْضْ التعاضد و التعاون و التكافل البشري ، و تالياً لذلك كله ، فإن ذا القرنين لم تكن لديه أي قوى خارقة كما يتوهم أو توهَّم البعض ، بل كل ما في الأمر أنه كان محتاجاً لغيره كما كان غيره من البشر محتاجاً إليه .

بسم الله الرحمن الرحيم { و نبِّئهم عن ضيف إبراهيم (*) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون (*) قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم (*) قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فَبِمَ تُبشرون } .

هذا هو النبي إبراهيم ذات المقام الرفيع و المكانة العالية عند الله سبحانه و تعالى ، قد بلغ به العمر عتياً و لم يستطع إنجاب ولد له ، لولا أن مَنّ الله سبحانه و تعالى ، عليه بذلك .. فليس له من الإمكانيات و القوى الخارقة ما يمكنه من فعل ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاء أهل المدينة يستبشرون (*) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (*) و اتقوا الله و لا تخزون (*) قالوا أولم ننهك عن العالمين (*) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين } .
بسم الله الرحمن الرحيم { و لما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم و ضاق بهم ذرعاً و قال هذا يوم عصيب (*) و جاءه قومه يهرعون إليه و من قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله و لا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (*) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق و إنك لتعلم ما نريد (*) قال لو أن لي بكم قوةً أو آوي إلى ركن شديد (*) قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل و لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب } .

النبي لوط ، و بموجب ما سبق من آيات ، فإنه كان ضعيفاً مستضعَفاً لا حول له و لا قوة أمام شداد قومه الغلاظ أصحاب الخبائث الذين لا يتورعون عن معصية و لا يعنيهم مقام نبي أو صالح من الصالحين ذلك أنه

كان وحيداً لا عزوة له .. فكانوا بذلك يملون عليه الأوامر أيضاً و يتهدَدونه إن خالفها (قالوا أولم ننهك عن العالمين) .. و قد بلغ به الضعف نتيجة الوحدة و الانفراد ، أن اضطر اضطراراً أن يقدم لهم بناته على أن لا يخزونه في ضيفه .. و لو كان ذا قوة و خوارق ، لبطش بهم أو منعهم عن ضيفه و عن نفسه ، و لَما قال لضيفه الرسل (لو أن لي بكم قوةً أو آوي إلى ركن شديد) فهذا دليل على ضعف كبير و قلة حيلة و عجز .. هو ضعف و عجز نتيجة افتقاد العزوة و المجموع ، و هما اللذان منعا عن النبي شعيب بطش قومه به ، كما في الآيتان التاليتان ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول و إنا لنراك فينا ضعيفاً و لولا رهطك لرجمناك و ما أنت علينا بعزيز (*) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله و اتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط } .

نلاحظ هنا أن قوة النبي شعيب ، كانت في إحدى جوانبها ، بعد الله سبحانه و تعالى ، في قومه و أهله الذين كانوا بمنزلة قوة رادعة لكفار قومه من إلحاق الأذية به .. و قد اعترفوا هم أنفسهم بذلك (و لولا رهطك لرجمناك) و أخبروه أنه لا يشكل بالنسبة لهم أي أهمية أو خطورة (و ما أنت علينا بعزيز) .. و لو كان شعيب يمتع بأية قوى خارقة ، لكان قد منع عنه أذى هؤلاء القوم أو على الأقل ، منَعَ تهديدهم له لكنه استعان بالله سبحانه و تعالى على رد أذاهم .

بسم الله الرحمن الرحيم { و كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون (*) قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه و أهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله و إنا لصادقون (*) و مكروا مكراً و مكرنا مكراً و هم لا يشعرون (*) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم و قومهم أجمعين (*) فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا إن في ذلك لآيةً لقوم يعلمون (*) و أنجينا الذين آمنوا و كانوا يتقون } .

هو الرسول صالح الذي أُرسِلَ إلى قومه ثمود الذين رفضوا دعوته إلى عبادة الرحمن رب العالمين ، بالمطلق و أصروا على تعنتهم و كفرهم على الرغم من إرسال الناقة كآية لهم .. لكن يبدو أن أحد الأسباب التي شجعتهم على ذلك ، كان ضعف صالح لجهة العزوة و الجَمعْ ، من حيث أنهم قد ائتمروا به ليقتلوه و أفراد أسرته ، ثم يدّعون لصاحب الدم ، من دولة أو قضاء ، أنهم لا يعرفون عن مقتله و أهله شيء .. لكن الله سبحانه و تعالى ، قد أنجاه من هؤلاء القوم بعد أن أهلكم و دمرهم .. و في ذلك دليل واضح على أن صالحاً لم يكن يتمتع بأية قدرات بدنية أو ذهنية خارقة للطبائع البشرية بل كان محتاجاً إلى رحمة الرحمن رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (*) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (*) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و ما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم

إلا تكذبون (*) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (*) و ما علينا إلا البلاغ المبين (*) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لَنرجمنكم و لَيمسنكم منا عذاب أليم } .

هم رسل ثلاثة ، أرسلهم الله سبحانه و تعالى ، إلى منطقة معينة يدعون قومها إلى الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. لكن أهل تلك القرية قد امتنعوا تماماً عن قبول دعوة هؤلاء الرسل ، لا بل قاموا بتهديدهم بالقتل أو الأذى الشديد إن لم يتوقفوا عن دعوتهم تلك .. و هذا دليل على أن هؤلاء الرسل لم يكونوا ذوي قوى خارقة و لم يكونوا أصحاب عزوة ناصرة لهم ، بل كانوا فرادى من دون جَمْعْ .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا موسى الكتاب و قفينا من بعده بالرسل و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم (*) أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة و ما لهم من ناصرين } .

إن الآيات الآنفة الذكر لَتُقدِّم دليلاً كبيراً و واضحاً على أن الرسل و الأنبياء ، لا عزوة لهم و لا قوى خارقة و أنهم معرضين للقتل و الأذى من دون المقدرة على دفع ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { فارتدا على آثارهما قصصاً (*) فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا و علمناه من لدنا علماً (*) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً (*) قال إنك لن تستطيع معي صبراً (*) و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً } .

هو ذا موسى الرسول يتتبع آثار شخص عالم ، و يطلب منه يكون بخدمته و طوع أمره ، فقط لكي يتعلم منه شيء من عِلم علمه إياه الرحمن رب العالمين .. فيخبره هذا الرجل إنه لن يستطيع ذلك لأنه لن يستطيع صبراً على العلم .. فهي إشارة قوية و دلالة واضحة على أن موسى الرسول لا يمتلك صفات ذهنية و علمية خارقة للطبائع البشرية .. و لا أدَّل من ذلك أيضاً من أنه قد سقط بعد ذلك في الامتحان مع الرجل فكان بينهما الفراق .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال موسى لقومه استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين } .

هي دلالة قوية على إبراز مفهوم الجماعة و المجموع ، و على الاعتماد على الله سبحانه و تعالى ، في تدبير الأمور و تيسيرها .. و إنَ طلبُ موسى من قومه الاستعانة بالله سبحانه و تعالى ، لهوَ تفويض منه إلى الله سبحانه و تعالى ، بتدبير الأمور ، و عدم توافر أية قوى خارقة للطبائع البشرية لديه .

بسم الله الرحمن الرحيم { فأتبعوهم مشرقين (*) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدرَكون (*) قال كلا إن معي ربي سيهدين (*) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (*) و أزلفنا ثم الآخرين (*) و أنجينا موسى و من معه أجمعين (*) ثم أغرقنا الآخرين (*) إن في ذلك لآيةً و ما كان أكثرهم مؤمنين } .

تُبرِز لنا الآيات السابقة ، مشهد مطاردة فرعون و قومه بجيشه ، لبني إسرائيل .. و عندما يقترب الجمعان بعضهما من بعض و يصيران على موضع من الترائي ، يستنجد قوم موسى به ، فيخبرهم موسى إن فرعون و جنده لن يصلوا إليهم لأن الله سبحانه و تعالى ، معه و لن يسمح بهذا الشيء أبداً .. ثم يأمر الله سبحانه و تعالى موسى أن يضرب البحر بالعصا التي معه ، لينشق البحر و ينجوا بنو إسرائيل .. إذن .. فالمشهد برمّته يبين لنا إقرار موسى بأن الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، معه و إلى جانبه و هو من سينقذه و قومه ، و بالتالي فإن كل ما حصل بعد ذلك ، كان بمشيئة و قدرة الرحمن رب العالمين ، القاهرة ، فلا قدرة لموسى على ذلك و لا طبائع خارقة متوافرة لديه لحماية قومه .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء و جعلكم ملوكاً و آتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين (*) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم و لا ترتدوا

على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (*) قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين و إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (*) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (*) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (*) قال رب إني لا أملك إلا نفسي و أخي فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين } .

المشهد الذي يقدمه آنف الآيات القرآنية ، يتعلق بالدرجة الأولى بالاعتماد على مفهوم الجماعة و المجموع .. فموسى الرسول كان محتاجاً إلى جماعة قومه و مجموعه و إلى التخطيط و التكتيك الحربي العسكري ، للولوج بقومه إلى الأرض المقدسة التي كتبها الله سبحانه و تعالى ، لهم .. أي أن الأمر يتعلق بمفهومي الجماعة و المجموع ، و الآخذ بالأسباب .. و لو كانت هنالك أدنى قوى خارق للطبائع البشرية عند موسى الرسول ، لكان قد أدى المهمة بمفرده و لما كان محتاجاً إلى مجموع قومه و إلى التكتيك الحربي للرجلين المؤمنين .. و لما كان قد اشتكى إلى الله سبحانه و تعالى ، قلة حيلته و سعته و نُصرته (جماعته) .. (قال رب إني لا أملك إلا نفسي و أخي) .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله و قد أُخرِجنا

من ديارنا و أبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم و الله عليم بالظالمين } .

هي آية قرآنية تحث على اعتماد مفهوم الجماعة و المجموع للقتال في سبيل الله سبحانه و تعالى .. كما أنها تعطي فكرة بيّنة عن أن هذا النبي المذكور فيها ، ليس له أية قدرات خارقة للطبائع البشرية .. و المتّضِح من مضمون الآية ، أن الملأ من بين إسرائيل كانوا يدركون هذه النقطة تماماً و يدركون أن مفهوم الجماعة و العصبة هما المعتمدين عند الله سبحانه و تعالى ، و إلا لما طلبوا من نبيهم أن يطلب من الله سبحانه و تعالى ، تنصيب ملكاً عليهم ، و لما تعهدوا له بالقتال في سبيل الله سبحانه و تعالى ، جماعةً و عصبةً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحب الصابرين (*) و ما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين } .

تسوق الآيتان آنفتا الذكر ، مفهومي الجماعة و العصبة ، كحكم و فرض من قِبل الله سبحانه و تعالى ، على المؤمنين ، كأداتي اعتماد للقتال في سبيله ، و بالتالي فهما تنفيان مفهوم الفردية ذات الخوارق فوق البشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله و اشهد بأنا مسلمون } .

صورة جليّة واضحة تبرزها الآية آنفة الذكر ، و هي أن المسيح عيس ابن مريم و الذي هو كلمة الله سبحانه و تعالى ، يسأل و يستعلم عن أنصاره و مؤيديه ، عندما رأى الكفر الرهيب و الرفض القاطع له و لدعوته إلى الرحمن رب العالمين .. و هو أمر يوضح أن الرجل مفتقد للخوارق فوق البشرية و محتاج للجماعة و العصبة ، و أن كل المعجزات الخارقة التي قام بها ، هي من الله سبحانه و تعالى ، و بأمر الله سبحانه و تعالى و أذنه .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً (*) أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً (*) أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله و الملائكة قبيلاً (*) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء و لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً } .

يطلب الكفار أو المشركون من الرسول محمد ، أن يقوم بخوارق فوق الطبائع البشرية ، كأن يخلق لهم قصراً فخماً أو يطير في أجواء السماء أو – و العياذ بالله – يجلب لهم الله سبحانه و تعالى ، و الملائكة .. فيخبرهم الرسول الكريم إن هذه الصفات و الأعمال ، هي ليست من اختصاصه ، كونه بشراً مثلهم ، و أنها من اختصاص و عمل الله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزي الله الشاكرين } .

تبرز هذه الآية الخصائص البشرية المحض للرسول محمد ، و أنه خاضع مثله مثل كل البشر ، لقوانين الموت و الحياة و ليس لديه أيما قدرة لتجاوز هذه القوانين أو الالتفاف عليها .

بسم الله الرحمن الرحيم { إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه و أيده بجنود لم تروها و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و كلمة الله هي العليا و الله عزيز حكيم (*) انفروا خفافاً و ثقالاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } .

ربما تكون الآيتان آنفتا الذكر ، من أبرز الآيات التي تعطي صورة واضحة عن أهمية أمر العصبة و المجموع في الدين ، من حيث أن ذلك هو أمر إلهي رباني مباشر و واضح لا لبس فيه .. و أن الرسول محمد هو بشر بحاجة إلى الجماعة و العصبة شأنه شأن بقية البشر من أنبياء و رسل و غيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (*) و لو أرادوا الخروج لأعدوا له

عدةً و لكن كره الله انبعاثهم فثبطهم و قيل اقعدوا مع القاعدين (*) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً و لأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة و فيكم سماعون لهم و الله عليم بالظالمين (*) لقد ابتغوا الفتنة من قبل و قلبوا لك الأمور حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون } .

تبرز الآيات السابقة ، المنافقين في صورة من إحدى صورهم ، و هي أنهم أولئك الذين يتخلون عن الرسول محمد في أوقات الحرب و الشدة و يتركونه وحده ، و هو في أشد الحاجة للجماعة و المجموع .. و أنهم أولئك الذين يحاولون تثبيط عزيمة من هم حول الرسول ، أي أنهم يحاولون فك المجموع عنه و تجريده من الجماعة و العصبة اللتين هما من أكبر ضروريات الرسول ، كونه بشر لا يتمتع بأية خوارق فوق بشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (*) كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (*) إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص } .

توضح تلك الآيتان بشكل قاطع لا لبس فيه ، أن الله سبحانه و تعالى ، يأمر بالجماعة و العمل الجماعي ، لا العمل الفردي .. و أن الاتحاد و العصبة و التعاون ، عند الله سبحانه و تعالى ، هم من الأمور المستحبة و الجالبة لرضى الله سبحانه و تعالى .. و ذلك فيه انتفاء لما يسمى بالخوارق الفردية البشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد نصركم الله ببدر و أنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (*) إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (*) بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين } .
النصر من عند الرحمن رب العالمين حصراً .. و الرسول و من معه ، هم في ضعف ما لم ينصرهم الرحمن رب العالمين ، فهم لا حول لهم و لا قوة إلا بما أعطاهم الرحمن رب العالمين ، من حول و قوة .

لقد جاء في القرآن الكريم ، الكثير الكثير من دلائل انتفاء ما يسمى بالخوارق المنسوبة للبشر ، و كل ما جاء فيه من أمر خارق ، على يد رسول بشري ، هو من أمر الله سبحانه و تعالى و بإذنه و إرادته و مشيئته و عمله .. ألم يأتِ في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى و ليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم } .
الرحمن رب العالمين ، هو المتصرِّف بشؤون ذلك الكون كله الذي خلقه و خلق موجوداته و مخلوقاته كلها ، و هو المدَبر القائم القيوم لسير أعمالها و حركاتها و آثارها كلها .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر و من شكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن ربي غني كريم } .

لعلها آية قرآنية بالغة الأثر و التأثير .. إنها تعطي الدلالة المباشرة على أن الله سبحانه و تعالى ، هو المتفضِّل على عباده في كل شيء و أنه لا شيء يمكن للعبد القيام به ، من نفسه و تلقائها ، بل هو من الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. و أن العبد .. هذا العبد .. أياً كان هذا العبد .. فهو عبد للرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، و كل ما به من نِعَم و قوى طبيعة كانت أم خارقة ، فهو من الرحمن إلهه و ربه و خالقه الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. و إن هذا العبد لهو مُطالَب بمعرفة هذه الحاكمية الإلهية الربانية و مطالب بأن يشكر الرحمن عليها ، تماماً كما فعل النبي سليمان الذي أدرك أن كل ما هو فيه من خير و قوى خارقة للطبائع البشرية ، مُسَخَّرة له ، هي اختبار من الرحمن رب العالمين له ، هل يشكر أم يكفر .. ذلك أنه من يعتقد أو يظن أنه هو المالك لما فيه من نِعَم ربانية إلهية من دون الله سبحانه و تعالى ، فهو كافر قطعاً و لا يعدو مَثَله أن يكون كمثل قارون الذي آتاه الرحمن رب العالمين من المال و الغنى ما لم يؤتى غير معه ، لكنه أنكر و قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً و أكثر جمعاً و لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون } .

فكان جزاءه أن ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فخسفنا به و بداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين (*) و أصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون } .

لقد جاء في القرآن الكريم أن الله سبحانه و تعالى ، قد أنزل و جعل القرآن الكريم رحمة و هداية للعباد .. إنسهم و جِنَّهم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدًى و رحمةً لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم و هدًى و رحمة لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم و شفاء لما في الصدور و هدًى و رحمة للمؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً (*) يهدي إلى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحداً (*) و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً و لا ولداً (*) و أنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً (*) و أنّا ظننا أن لن تقول الإنس و الجن على الله كذباً } .

عود على ذي بدء

لا يتضح لنا كيف أن هذا القرآن الكريم ، هو هدى و رحمة للعباد إلا إذا عدنا إلى بداية هذا الكتاب و رأينا ما حذّرَنا منه القرآن الكريم و ما نهانا عنه و ما أبانه و أوضحه لنا و ما أراد لنا أن نعلمه و ما أراد لنا أن لا نعلمه لأنه لا يهمنا أمره و لا معرفته لأن ذلك قد يقود بنا إلى الضلال و الشرك و من ثم كفر البتة بالرحمن رب العالمين .. إلهنا و ربنا و خالقنا الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .

عود على ذي بدء فيما كان مبحث هذا الكتاب و مَتنه .. فإن النتيجة و الخلاصة التي قد صارت واضحة الآن لكل عقل و كل ذي لبّ ، هي أن عملية التشخيص كانت من أخطر عمليات الضلال التي تعَرَّض لها بنو البشر عبر تاريخهم الطويل .. و كان مكمن خطورتها ، في أنها تماهت و اندمجت مع المفهوم القدسي و العنصر البشري ، من دون أن تلفت الأنظار ، من حيث أنها كانت آخر مراحل العبادات الشركية بالرحمن رب العالمين ، و بالتالي آخر الضلال و التضليل ، و ذلك بعد أن استوعبت الوعي العقلي البشري التراكمي و استطاعت خداعه .

و بالرغم من أن القرآن الكريم قد نَبَّه إلى خطورة عملية التشخيص بشكل إيحائي غير مباشر ، و ذلك من خلال تناول بعض أشخاصه بأسلوب بعيد عن التشخيص ، إلا أن التشخيص كان حاضراً و جاهزاً ، خارج القرآن الكريم .. و لعلنا إذا أخذنا بعض من النماذج التي تم عرضها في هذا الكتاب ، كأشخاص غير مُشَخّصين في القرآن الكريم ، بدءاً من آدم أبو البشر و أولهم ، و انتهاءً بآخر الأزمنة الدينية التي تناولها القرآن الكريم ، ليتضح لنا ذلك الأمر بأبعاده كافة .

فمثلاً زوج آدم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم من دون اسم أو ذكر تاريخ و سيرة حياة و ممات لها .. قد تم وَضعْ سيرة ذاتية كاملة لها .. ابتداء من ذكر اسم لها و هو (حواء) مروراً بكيفية حياتها و انتهاء بموتها .

كذا الأمر مع ابنَيّ آدم الذَين جرت تسميتهما .. هابيل الصالح القتيل ، و قابيل الفاسق القاتل .. و ما هي مواد القربان التي قدمها كل منهما إلى الله سبحانه و تعالى .. علماً أنه قد وَرَدَ سبب قتل قابيل أخاه هابيل ، بشكل مغاير لما جاء في القرآن الكريم ، من حيث قيل إنه بسبب فتاة تزوجها هابيل و كان قابيل يريدها زوجة له ، بينما ذكر القرآن الكريم أن السبب الرئيس هو قبول قربان هابيل (إن صحت التسمية) و عدم قبول قربان قابيل (إن صحت التسمية) .. و كيف و أين عاش الشابان و كيف ترعرعا ، و متى و أين و لماذا .. و كلها أمور ذات حشو لا طائل منه ، ما

أرادها القرآن الكريم و ما ذكرها ، بل أخفاها لكي يُظهِر الغاية الأساس من حادثة القتل و ما تخللها و ما ترتب عليها فيما بعد .. فجاء تشخيص أشخاص الحادثة و وقائعها لصرف النظر عما أراده الله سبحانه و تعالى ، لنا أن نعرفه .

أيضاً مساق الأمر في شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن الكريم .. إذ لم يذكر له القرآن الكريم أي تشخيص بينما خارج القرآن الكريم ، يوجد له كتب و سجلات و مؤلفات بحالها .. فمنهم من قال إنه كان نبياً ، و منهم من قال إنه كان ملكاً ، و من قال إنه كان لا هذا و لا ذاك ، بل كذا و كذا .. و هنالك من قال إنه كان له قرنين من نحاس في رأسه و لهذا سُمي بذي القرنين .. و قيل بل سمي بذي القرنين لأنه مَلَك بلاد فارس و الروم فلُقِّب بهذا .. و قيل بل لأنه بلغ قرني الشمس شرقًا و غرباً ، و مَلَك ما بينهما من الأرض .. و قيل إنه سُمي بذي القرنين لأنه ورد أقصى الأرض في المغرب و أقصاها في المشرق .. و قيل لا هذا و لا ذاك بل بسبب شَجٍّ في قرني رأسه .. و قيل إنه أسلم على يدي إبراهيم و طاف معه بالكعبة هو و إسماعيل .. و قيل إنه كان في زمن الخضر (الذي هو العبد الصالح الذي التقى بموسى) و أن الخضر كان على مُقدَّمِة جيشه و كان عنده بمنزلة المُشاوِر الذي هو مِن المِلك بمنزلة الوزيرِ .. و قيل بل هو قائد صالح سُمي بـ لوقرانائيم أو صاحب القرنين .. و قيل .. و قيل .. و قيل .. و ذلك كله لم يُرِده الله سبحانه و تعالى ، لنا أن نعلمه بل أراد لنا

شيئاً آخر غير ذلك كله ، لكننا تركنا ما أراد الله سبحانه و تعالى ، لنا أن نعلمه و ذهبنا إلى ما أراده غير الله سبحانه و تعالى ، لنا أن نعلمه فتركنا العِبرة و ذهبنا إلى التشخيص .

كذا القضية في الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى .. إذ قيل إن اسمه حبيب النجار ، و كان رجلًا سقيماً قد أسرع فيه الجذام و كان كثير الصدقة يتصدق بنصف ما يكسبه . كان مستقيم الفطرة .. و قيل كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة و كان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم متضرِّعاً لعلهم يرحمونه و يكشفون ضره لكنهم لم يفعلوا ذلك .. و قيل .. و قيل .. و قيل .. و كله لا يعنينا من الأمر في شيء ، سوى صرف النظر عما أراده الله سبحانه و تعالى ، لنا أن ندركه من القرآن الكريم .

كذا الأمر في حال مؤمن آل فرعون .. إذ قيل إنه حزقيل بن صبورا .. و قيل بل هو قرقيل ابن بربيل .. و قيل إنه كان ابن عم فرعون .. و قيل بل ابن خالته .. و قيل لا بل ابن عم صهر جد عمته .. و قيل إنه كان أول من أمن بموسى .. و قيل إن امرأته اسمها ماشطة بنت فرعون و كانت مؤمنة من إماء الله الصالحات .. و قيل بل هي طافشة بنت عافشة .. يا أخي أنا إيش علاقتي بطافشة و شهيرة و بهيرة و قرقفيل و عمفقيل ؟؟؟!!! يا أخي هنالك قضية و عبرة و حكمة يريدني الله سبحانه و تعالى ، أن

أصل اليها و أعرفها و أُطبّقها ، فكان أن ساق لي شخصية من دون تشخيص لكي يقوم عليها بناء القصة أو الحادثة ، فقط لا غير .. و هو أمر مشابه لقضية الأمثال التي يضربها الله سبحانه و تعالى ، في القرآن الكريم ، لِسَوق عبرة أو حكمة معينة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم و أنتم لا تعلمون (*) ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء و من رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً و جهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (*) و ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء و هو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو و من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم } .

أي لا تُعَلِّموا الله سبحانه و تعالى – و العياذ بالله – كيف يعلّم الناس الحكمة و الدين و الشرع ، و تسوقوا لهم أشخاص مُشَخَّصة ، مُفَصَّلٌ تاريخ حياتها و سيرتها تفصيلاً ، فتُضَلّوا و تَضِلّوا ضلالاً بعيداً .

كذا الحال في حادثة إحضار عرش ملكة سبأ إلى النبي سليمان .. القرآن الكريم يقول لنا .. قال عفريت من الجن و قال الذي عنده علم من الكتاب .. و لا يزيد على ذلك أو يُنقِص من الأمر شيئاً .. بينما الحال خارج القرآن الكريم ، حدِّث و لا حرج .. العفريت اسمه (ساتر) و

لذلك لا يجوز لك أن تقول يا ساتر لأن في ذلك شرك بالله .. العفريت اسمه عفروت ابن همروت و كان يخدم في كذا و كذا .. و الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخياء و هو ابن فلان بن فلان و كان يعمل في كذا و كذا و عندما نقل عرش ملكة سبأ ، قال كذا و كذا .

فهذا هو شأن الأشخاص و التشخيص في القرآن الكريم .. و هذا هو ما بيّنَه القرآن الكريم للناس ، في قضية الأشخاص و التشخيص ، ليكون من يكون على عبرة و موعظة حسنة ، و يكون من يكون على ضلالة و عمى أو كما قال القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حي عن بينة و إن الله لسميع عليم } .

و الله من وراء القصد .. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. ربنا و تقبل منا صالح الأعمال .

===(انتهى)===

نبذة عن المؤلف

نزار يوسف .. كاتب و باحث من سورية ، و له الأعمال و المؤلفات التالية ..

١) – الزمن العربي الرديء (دراسة و بحث) .

٢) – الحكمة بين الإله و السلطان (دراسة و بحث) .

٣) – الوصاية الفكرية (دراسة و بحث) .

٤) – المنطق الثاني (دراسة و بحث) .

٥) – هوية الفكر العربي المعاصر (دراسة و بحث) .

٦) – من وحي الواقع (مقالات) .

٧) – قراءة في القرآن الكريم (تفسير القرآن الكريم) .

٨) – قرآن الأرقام في حروف القرآن (تبيان نظام الجُمّل في القرآن الكريم) .

٩) – القضايا المنطقية و الافتراضية في القرآن الكريم (دراسة و بحث) .

١٠) – أمثالي المحكية فسط الشامية (أمثال عامية) .

١١) – المسيح المهموم (مجموعة قصصية) .

١٢) – تشوشو كاكي (قصص قصيرة) .

صفحة المؤلف على موقع فيسبوك ..
https://www.facebook.com/nizary3/

صفحة العروة الوثقى للمؤلف على موقع فيسبوك ..
https://www.facebook.com/NizarYusuf.Quran